دار السيدة خديجة بنت خويلد
رضي الله عنها
في مكة المكرمة

دراسة تاريخية للدار وموقعها وعمارتها

تأليف
أحمد زكي يماني



مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي
فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة

١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م

دار السيدة خديجة بنت خويلد

أحمد زكي يماني

جزيرة العرب
٩
٦
٦

الكتاب :

دراســـة تـاريـخـيـة علمية، ومعمارية، لدار السيدة خديجة بنت خويلد، رضي الله عنها، في مكة المكرمة. الدار التي عاش فيها رسول الله ﷺ وابتنى بها زوجه، وولد فيها أولاده وبناته، رضي الله عنهم، وتلقى فيها الوحي، وانطلق منها ﷺ في رحلة الإسـراء والمعراج. الدار التي قال عنها الطبري وغيره: إن دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، أفضل محل بالحرم بعد المسجد الحرام.



المؤلف:

أحمد زكي يماني وزير البترول والثروة المعدنية الأسبق في المملكة العربية السعودية.

مؤسس مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي.

المؤسس والمشرف العام على موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة.

مؤسس مركز دراسات مقاصد الشريعة الإسلامية.

مؤسس مركز الطاقة العالمي.

مؤسس أول مكتب محاماة في المملكة العربية السعودية (أحمد زكي يماني محامون ومستشارون قانونيون).


بسم الله الرحمن الرحیم

فهرسة مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي

يماني، أحمد زكي

دار السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها في مكة المكرمة: دراسة تاريخية للدار وموقعها وعمارتها / تأليف أحمد زكي يماني ..لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

١٧٢ص: صور؛ ٣٠سم

ردمك: 1-905122-44-6

١. مكة المكرمة ـ تاريخ ـ العصر الجاهلي ٢. مكة المكرمة ـ تاريخ ـ عصر صدر الإسلام ٣. خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى (٣ ق هـ)

أ. العنوان

ديوي ٩٥٣،٠١

ردمك: 1-905122-44-6

دار السيدة خديجة بنت خويلد
رضي الله عنها
في مكة المكرمة

دراسة تاريخية للدار وموقعها وعمارتها

تأليف
أحمد زكي يماني


مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي
فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة

١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م

الإهداء

أحمد الله على توفيقه لإتمام هذا العمل الجليل الذي يوثق أشرف المواقع الإسلامية في مكة المكرمة، دار أم المؤمنين السيدة خديجة، رضي الله عنها وأرضاها، والتي ضمت بين جنباتها، وداخل حجراتها المباركة، أفضل خلق الله، سيدنا محمداً ﷺ، وأبناءه، وبناته الكرام، عليهم السلام، رضوان الله عليهم جميعاً وأرضاهم.

وأهديه إلى روح جدي، ووالدي، ووالدتي، رحمهم الله جميعاً.

سائلاً الله أن يجزل لهم العطاء من الرحمة، وأن يجزيهم جميعاً عني خير الجزاء.

أحمد زكي يماني



المحتويات

المقدمة

تعتبر دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، معلماً إسلامياً عند المسلمين عامة. فهي الدار التي تزوج فيها الرسولﷺ من أم المؤمنين خديجة، رضي الله عنها. وتردد عليها جبريل عليه السلام حاملاً رسالات ربه بالقرآن الكريم، وفي الدار نزلت آيات القرآن الكريم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤﴾؛ وتكرر نزول الوحي في الدار، وفيها شق قلبهﷺ.

وفيها أسلمت السيدة خديجة، رضي الله عنها، وعلي رضي الله عنه، وزيد بن حارثه رضي الله عنه.

ومن هذه الدار انطلقت رحلة الإسراء والمعراج. وفي حجراتها أنجبت السيدة خديجة للنبي ﷺ من البنات: زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، رضي الله عنهن، ومن البنين: القاسم وعبد الله، رضوان الله عليهم. إضافة إلى ذلك كله، فهي أول دار مس جلد النبيﷺ ترابها، ومشى فيها، ولامس جسده الشريف حجراتها وجدرانها، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. وعاشﷺ في رحاب هذه الدار، وبين حجراتها ثمانية وعشرين عاماً من حياته، فلا مبالغة أن يقول الطبري وغيره: إن دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، أفضل محل بالحرم بعد المسجد الحرام.

استمرت هذه الدار المباركة قائمة قرابة أربعة عشر قرناً من الزمان، حتى أزيلت بعد سنة ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م. فقد رآها ووصفها آخر زائريها، الرحالة إلدون رتر Eldon Rutter في (رحلته) إلى مكة المكرمة سنة ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م، إذ وقف عليها وقد سدت بالحجارة والطين. إلا أن الدار كانت قد استحالت أرضاً بيضاء

مطمورة، في أثناء زيارة محمد حسين هيكل سنة ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م، ومن جاء بعده إلى مكة المكرمة. وخلال العصور والعهود التي كانت فيها الدار قائمة، فقد كانت موضوعاً من موضوعات كتب المؤرخين المكيين، وكتب المناسك، كالأزرقي، والفاكهي، وابن الضياء، والفاسي، والطبري، وغيرهم... أوجز بعض في وصف الدار، وأطال في الأحداث والوقائع؛ بينما توسع بعض في الوصف، من ذكر لصفة الدار من حيث الموقع، والعمارة، والتقسيمات الداخلية. كان من أهم أولئك المؤرخين، مؤرخ مكة المكرمة، تقي الدين الفاسي (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٨م) الذي أمدنا بمقاييس وحدات الدار الأساسية (مولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها، وموضع قبة الوحي، ومختبأ رسول الله ﷺ)، ووصف، وذرع الإضافات التي ألحقت بالدار فيما بعد، من رواقي المسجد (الأمامي، والمؤخر)، والصحن، وذلك بمقياس ذراع الحديد، الأمر الذي مكن فريق البحث من وضع تصميم لشكل تقريبي، ثلاثي الأبعاد للدار، وأروقتها الأمامية، أقرب، صورة وشكلاً، إلى ما كانت عليه الدار في عهد الفاسي. ولقد كانت هذه الخطوة ذات أهمية بالغة، إذ مكنت من إجراء المقارنة بين وصف الفاسي، والحال التي كانت عليها الدار قبل طمرها بعد سنة ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م، ومعرفة التغيرات والإحداثيات والمساحات الإضافية التي حدثت بالدار بعد زمن الفاسي.

لم تكتف هذه الدراسة بمسح المصادر التاريخية المكية فحسب، بل تعدتها إلى الوقوف على وصف عدد من الرحالة المسلمين، وعدد من الرحالة المستشرقين، الذين قدموا مكة المكرمة، وزاروا تلك الدار المباركة، خلال حقب زمنية متباعدة، بدءاً من رحلة ابن جبير سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م، ومروراً برحلات ابن بطوطة سنة ٧١٥هـ/ ١٣١٥م، والعياشي سنة ١٠٥٩هـ / ١٦٤٨م، وأوليا جلبي سنة ١٠٨٢هـ/ ١٦٧١م، وبركهارت Burckhardt سنة ١٢٢٩هـ / ١٨١٣م، وبيرتون Burton سنة ١٢٦٩هـ / ١٨٥٢م، وأيوب صبري باشا أواخر القرن الثالث عشر الهجري/

التاسع عشر الميلادي، وسنوك Snouck سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، وإبراهيم رفعت سنة ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م، والبتنوني سنة ١٣٢٧هـ / ١٩٠٨م، وإلدون رتر Eldon Rutter سنة ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م، حتى رحلات كل من محمد حسين هيكل سنة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م، وإبراهيم حبيب سنة ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٨م، ومحمد لطفي جمعة سنة ١٣٥٩ - ١٣٦٠هـ / ١٩٤٠ - ١٩٤١م، حين كانت دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، قد استحالت أثراً بعد عين، ولم يعد لها أي وجود، في أثناء زياراتهم المكية، وبحثهم عن موضع الدار.

الرحالة الذين شاهدوا تلك الدار أدلوا بمعلومات ثرة، لم تحط بموقع الدار وصفتها من الخارج والداخل فحسب، بل تعدتها إلى وصف المظاهر الاحتفالية والطقوس التي صاحبت زياراتهم؛ مما مكن من معرفة المظاهر الثقافية والاجتماعية التي سادت المجتمع المكي خلال العصور المختلفة، ومدى التأثيرات العقدية في تلك الممارسات والمظاهر.

لقد شرفني المولى ﷻ بطرق هذا الموضوع والبحث في تاريخ هذه الدار العظيمة، والإشراف على كل خطوات الدراسة التي شارك فيها فريق عمل متخصص من (موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة) مكون من:

الأستاذ الدكتور عباس صالح طاشكندي

الدكتور عماد عابد طاهـر

الدكتور إبراهيم يوسف الأقصم

الدكتور عبد الله قايد العبادي

المهندس عامر عباس طاشكندي (مسؤولا عن إعداد الأشكال ثلاثية الأبعاد)

الاخراج: أحمد محمد عليان

سمير رملي فلمبان

محمد عبدالله عمر

عبد الرحمن محمد إدريس (المراجعة اللغوية)

خليل إبراهيم عطا (للجمع التصويري)

حتى قيض الله لنا، من خلال مشاركتهم، توثيق المعلومات التاريخية، ومعرفة صفة الدار، عبر المراحل التاريخية المختلفة؛ وكذلك معرفة ما طرأ عليها عبر العصور من إصلاح، وتجديد، وإضافة، وتعديل، وما صاحب وجودها من مظاهر اجتماعية وثقافية عدة.

وقد استطاعت الدراسة، بعون الله وتوفيقه، إلقاء الضوء على عدد من المحاور ذات العلاقة بالدار، أهمها:

أولا - أم المؤمنين، السيدة خديجة بنت خويلد، رضي الله عنها، ومكانتها عند الرسول الكريمﷺ، وأهم الأحداث التي وقعت بدار السيدة خديجة، رضي الله عنها.

ثانياً - موقع دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، والدور التي كانت تحيط بها.

ثالثا - عمارة دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، عبر التاريخ من خلال روايات المؤرخين.

رابعاً - دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، في كتب (الرحلات) إلى مكة.

خامساً - دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، في حفريات سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

سادساً - عرض النتائج.

نسأل الله عز وجل أن يجعل هذه الدراسة عملاً خالصاً لوجهه الكريم، ووفاءً ومحبة لرسوله سيدنا وقدوتنا محمد ﷺ، وزوجه، أم المؤمنين، السيدة خديجة بنت خويلد، رضي الله عنها وأرضاها. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أحمد زكي يماني

الفصل الأول

أم المؤمنين السيدة خديجة
بنت خويلد
(رضي الله عنها)



هي أم المؤمنين، وأوّل زوجات النبي ﷺ، وأمّ أولاده، وخيرة نسائه، وأول من آمن به وصدقه.

نسبها ونشأتها في الجاهلية:

خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية. أمها فاطمة بنت زائدة، قرشية من بني عامر بن لؤي[1]. يلتقي نسبها مع الرسول ﷺ في جده قصي، فهي من أقرب نسائه إليه في النسب. بيتها بيت مجد، ورياسة، ومال، فقد ذكر ابن إسحاق أنها كانت امرأة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها، وتضاربهم إياه، بشيء تجعله لهم، وكانت قريش قوما تجارا[2].

ولدت خديجة، رضي الله عنها، بمكة، ونشأت في بيت شرف ووجاهة. وقد مات والدها يوم حرب الفُجَّار. تزوجت مرتين، قبل رسول الله ﷺ، باثنين من سادات العرب، هما: أبو هالة بن زرارة بن النباش التميمي، وجاءت منه بهند وهالة. وأما الآخر فهو عتيق بن عائذ بن عمر بن مخزوم، وجاءت منه بهند بنت عتيق.

يقول ابن سعد عن نسل السيدة خديجة، رضي الله عنها، من زوجيها قبل زواجها من رسول الله ﷺ:

«ولدت خديجة، رضي الله عنها، لأبي هالة رجلا يقال له هند وهالة رجل أيضا. ثم خلف عليها بعد أبي هالة عتيق بن عابد بن عبدالله بن عمر بن

مخزوم، فولدت له جارية يقال لها هند؛ فتزوجها صيفيّ بن أمية بن عابد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، وهو ابن عمها، فولدت له محمداً. ويقال لبني محمد هذا بنو الطاهرة لمكان خديجة، رضي الله عنها. وكان له بقية بالمدينة وعقب فانقرضوا. وكانت خديجة، رضي الله عنها، تدعى أم هند»[٣].

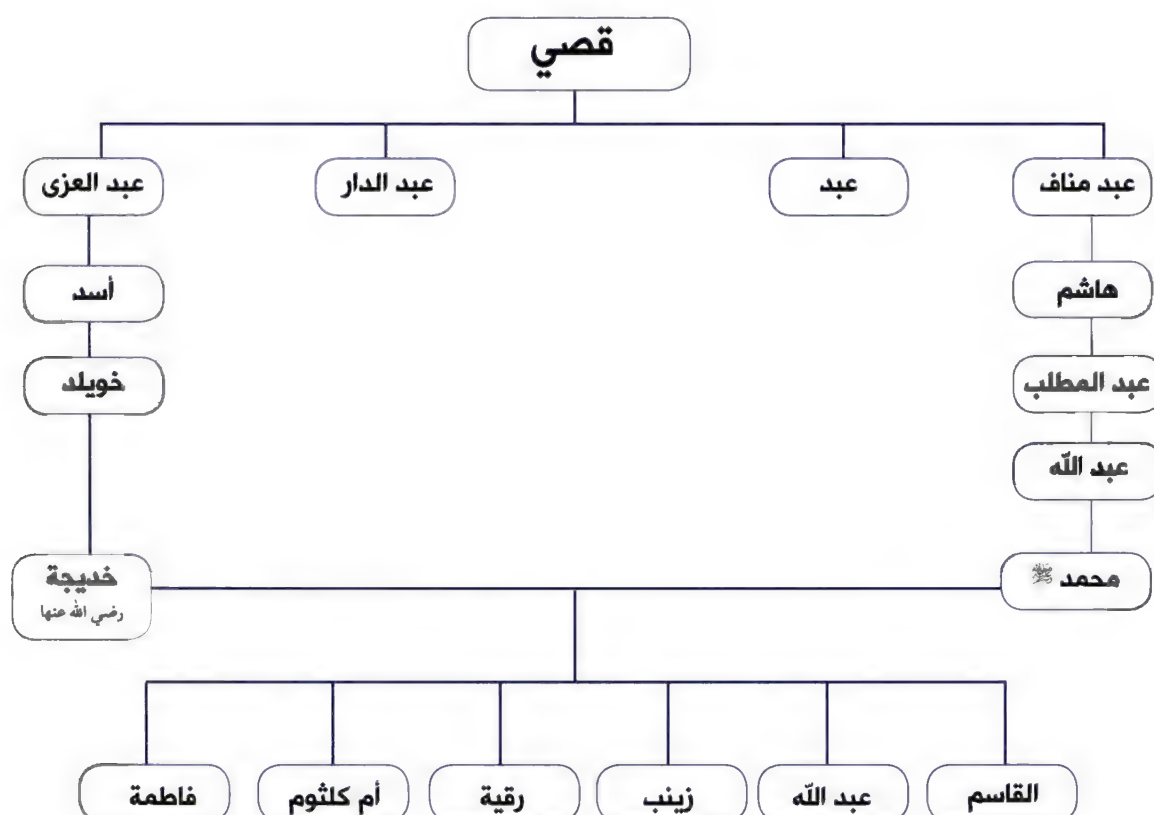
كان للسيدة خديجة، رضي الله عنها، حظٌ وافر من التجارة، فكانت قوافلها لا تنقطع بين مكّة وحواضر التجارة آنذاك. لتضيف، إلى شرف مكانتها وعلوّ منزلتها، الثروة والجاه؛ حتى غدت من تجّار مكّة المعدودين. وبلغت منزلة عظيمة في الكرم والأخلاق الرفيعة، إذ كانت، نساء مكة ، والمقربات إليها يعرفن عنها ذلك؛ فكن يذهبن بأنفسهن إليها في بيتها، فينلن من كرمها وفضلها الشيء الكثير. وكانت إذا ما خرجت إلى البيت العتيق، لتطوف به ، خرجن معها ، وقد أحطن بها ، فلا تلغو واحدة منهن ، ولا تتكلم إلا بالجد من الكلام، ولا يحببن أن يسمعن من أحد لفظة نابية، قد تجرح سمع السيدة خديجة، رضي الله عنها. وفي إحدى المرات، وهُنَّ عند البيت العتيق مع خديجة، طلع عليهن يهودي، وناداهن قائلاً: «يا نساء تيماء (وفي رواية يا نساء قريش)، سيظهر نبي في هذا الزمن ، فمن أرادت أن تكون له زوجا فلتفعل». فثارت النسوة اللاتي كنّ يحطن بالسيدة خديجة، رضي الله عنها ، وقذفنه بالحجارة. وقد فعلن ذلك من أجل السيدة خديجة، رضي الله عنها[٤].

زواجها بالرسول ﷺ:

ذكرت مصادر (السيرة)، وغيرها، أن السيدة خديجة، رضي الله عنها، كان لها حظٌ وافر من التجارة، فقد كانت تستأجر الرجال وتدفع إليهم أموالها، ليتاجروا بها، وكان رسول الله ﷺ واحداً من الذين تعاملوا معها. تقول الروايات: إنها أرسلته مرة إلى الشام، بصحبة غلامها ميسرة. ولما عاد،

أخبرها الغلام بما رآه من أخلاق الرسول ﷺ، وما لمسه من أمانته وطهره، وما أجراه الله على يديه من البركة، حتى تضاعف ربح تجارتها؛ فرغبت به زوجاً. وسرعان ما خطبها حمزة بن عبد المطلب، لابن أخيه، من عمها عمرو بن أسد بن عبد العزى. وقد أصدقها عشرين بكْرة. وتمّ الزواج قبل البعثة بخمس عشرة سنة، وللنبي ﷺ، آنذاك، خمس وعشرون سنة، بينما كان عمرها أربعين سنة. وعاش الزوجان حياة كريمة هانئة، وقد رزقهما الله ستة من الأولاد: القاسم، وعبد الله، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، رضي الله عنهم أجمعين(٥).

كانت السيدة خديجة، رضي الله عنها، تحب النبي ﷺ، حبّاً شديداً، وتعمل على نيل رضاه، والتقرّب إليه، حتى إنها أهدته غلامها زيد بن حارثة، لما رأت من ميله إليه ﷺ.





رسم رقم (١) يبين الطريق التي كان يسلكها النبي ﷺ عند توجهه من داره إلى غار حراء.

المصدر: محمد عبده يماني. أم المومنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

السيدة خديجة، رضي الله عنها ودورها في نصرة الرسول ﷺ

تمكنت، رضي الله عنها، من أن تهيئ للنبي ﷺ بيتا هانئا قبيل البعثة، إذ أعانته على خلوته في غار حراء، وواسته بنفسها ومالها. وعند البعثة ثبتته وصَدَّقته، عندما جاءها خائفا يرتجف قائلا: «زملوني زملوني». فزملوه حتى ذهب عنه الروع. فكان لها دورٌ مهم في تثبيت النبي ﷺ، والوقوف معه، بما آتاها الله من رجحان عقل، وقوّة شخصيّة، وحكمة واعية. [رسم رقم ١؛صورة رقم ١]



صورة رقم (١) غار حراء.

أخرج البخاري في باب (كيف كان بدء الوحي؟) ومسلم في (كتاب الإيمان، باب بدء الوحي) عن عائشة أم المؤمنين، رضي الله عنها، أنها قالت: أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي، الرؤيا الصالحة(وعند مسلم الصادقة) في النوم. وكان لا يرى رؤيا، إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حبب إليه الخلاء؛ فكان يخلو بغار حراء، يتحنث فيه: وهو تعبد الليالي ذوات العدد (أي الليالي الكثيرة)، قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى السيدة خديجة،

رضي الله عنها، فيتزود لمثلها؛ حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه المَلَك، فقال: اقرأ. قال: ما أنا بقارئ، (أي لا أحسن القراءة). قال: فأخذني، فغطني (ضمني)، حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني، فغطني الثانية، حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني، فغطني الثالثة، ثم أرسلني، فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾﴾.. إلى آخر السورة. فرجع بها النبي ﷺ، يرجف فؤاده، فدخل على السيدة خديجة بنت خويلد، رضي الله عنها، فقال: «زملوني زملوني»، فزملوه، حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة، وأخبرها الخبر: «لقد خشيت على نفسي»، فقالت السيدة خديجة: كلا، والله، ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل (الضعيف)، وتُكسب المعدوم (الفقير)، وتقري الضيف(تكرمه)، وتعين على نوائب الحق. فانطلقت به السيدة خديجة، رضي الله عنها، حتى أتت به ورقة بن نوفل، ابن عمها، وكان امرأً تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب. وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: يا بن عمي، اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى. فقال له ورقة: «هذا هو الناموس، -جبريل عليه السلام- الذي نزّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا (أي شابا قويا)، ليتني أكون حيا، إذ يخرجك قومك. فقال النبي ﷺ: «أو مخرجيّ هم؟» قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودي. وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً. ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي(أي انقطع)[٦].

عندما جاءت البعثة النبوية، منذ نزول قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ﴿٤﴾﴾[٧]، أي يا أيها المتدثر بثيابك، قم فأنذر الناس، وحذرهم من عقاب الله تعالى؛ فكانت له أمرا بأن يدعو الناس إلى الإسلام؛ امتثل ﷺ لأمر ربه، وأخذ يدعو الناس إلى الإسلام سراً، لكي لا يثير عداوة

قريش. فبدأ ﷺ بأهله وأصدقائه، وكانت زوجه خديجة، رضي الله عنها، أول من آمن بدعوته إلى الإسلام، كما أسلم زيد بن حارثة، ﷺ، وكان مولى لخديجة، رضي الله عنها[٨].

وكانت السيدة خديجة، رضي الله عنها، قد وهبت نفسها وبيتها لخدمة المسلمين، واستغلت مكانتها في دفع الأذى عن رسول الله ﷺ، لذلك حزن النبي أشد الحزن على وفاتها، إذ كانت له نعم العون والنصير.

تلك هي السيدة العظيمة خديجة، رضي الله عنها، التي بعث الله إليها تحيته تقديرا لما قدمته للدعوة الإسلامية، فبشرها الله ببيت في الجنة من اللؤلؤ المجوف (القصب)، لا تعب فيه ولا منازعة. فكانت بذلك الأسبق إلى الجنة، كما كانت الأسبق إلى الإسلام؛ إذ لما علمت، رضي الله عنها، بذلك، لم تتردّد لحظةً في قبول دعوته، لتكون أول من آمن برسول الله، وصدّقه. ليس هذا فحسب، بل قامت معه تسانده في دعوته، وتؤانسه في وحشته، وتذلّل له المصاعب، فكان الجزاء من جنس العمل، بشارة الله لها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب[٩]. والحديث ورد بعدة روايات في (البخاري)، وغيره. يقول ابن حجر في شرح هذا الحديث: «لما دعا الرسول ﷺ، إلى الإسلام أجابت خديجة طوعا، فلم تحوجه إلى رفع صوت، ولا منازعة، ولا تعب في ذلك؛ بل أزالت عنه كل نصب، وآنسته من كل وحشة، وهونت عليه كل عسير؛ فناسب أن يكون منزلها الذي بشرها به ربها بالصفة المقابلة لفعلها»[١٠].

حفظ النبي ﷺ، لها ذلك الفضل، فلم يتزوج عليها في حياتها إلى أن قضت نحبها؛ فحزن لفقدها حزناً شديداً، ولم يزل يذكرها، ويُبالغ في تعظيمها والثناء عليها، ويعترف بحبّها وفضلها على سائر أمهات المؤمنين،

فيقول: «إني قد رزقت حبّها»[١١]، ويقول ﷺ:«آمنت بي، إذ كفر بي الناس. وصدّقتني، إذ كذبني الناس. وواستني بمالها، إذ حرمني الناس. ورزقني الله عز وجل ولدها، إذ حرمني أولاد النساء»[١٢]. حتى إن السيدة عائشة، رضي الله عنها، كانت تغار منها،غيرة شديدةً. وقد أورد البخاري، وغيره، عدة روايات تبين غيرة السيدة عائشة، رضي الله عنها[١٣].

ومن مظاهر وفائه ﷺ،لها أنه كان يصل صديقاتها،بعد وفاتها،ويحسن إليهنّ؛ وفاء لها، رضي الله عنها[١٤]. وكان ﷺ، كما ورد في (البخاري) و(مسلم)، إذا ذبح الشاة يقول: «أرسلوا بها إلى صدائق (أو خلائل) خديجة»[١٥]، رضي الله عنها.

وكان النبي ﷺ، إذا سمع صوت هالة، أخت السيدة خديجة، تذكّر صوت زوجته، فيرتاح. وفي رواية: يرتاع، كما ثبت في (الصحيحين)[١٦].

فضل السيدة خديجة، رضي الله عنها، من شواهد السُنة النبوية:

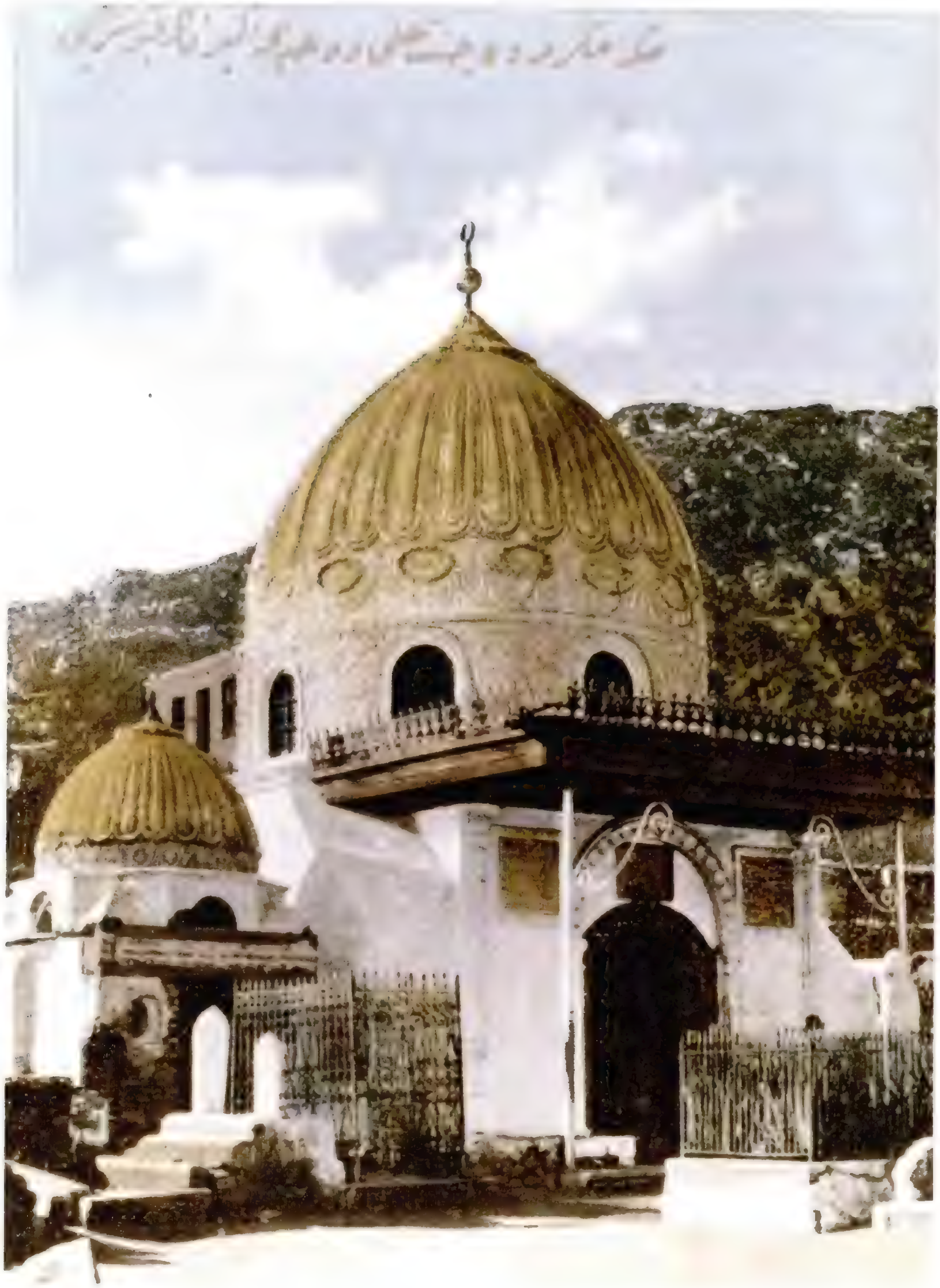
بيَّن النبيُّ ﷺ، فضلها حين قال: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران. رضي الله عنهن»[١٧]، وبيّن أنها خير نساء الأرض في زمنها في قوله ﷺ: «خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد»[١٨].

هنا يظهر ما كانت تتميز به السيدة خديجة، رضي الله عنها، من رجاحة العقل، وحسن العشرة لزوجها؛ فما كان جزاؤها إلا أن بشرها الله عز وجل، على لسان جبريل، عليه السلام، ببيت في الجنة. فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «أتى جبريل عليه السلام النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، هذه خديجة أتت معها إناء فيه إدام (أو طعام أو شراب)، فإذا هي أتتك، فأقرأ عليها السلام من ربها، ومني. وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب»[١٩].

كانت، رضي الله عنها، امرأة صالحة، وصلت بفضل إيمانها إلى أن تتبوأ مكانة بارزة في قلب رسول الله ﷺ، إذ لم تستطع أي واحدة من أمهات المؤمنين أن تزحزحها عن مكانتها هذه، حتى إن أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، كانت شديدة الغيرة منها، من كثرة ما كان يذكرها رسول الله ﷺ، ويحن إليها، ويشيد بمواقفها. تقول عائشة، رضي الله عنها: «ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ، ما غرت على خديجة، وما رأيتها. ولكن كان النبي ﷺ، يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة، ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة؟ فيقول: إنها كانت... وكانت...، وكان لي منها ولد»[٢٠].

وموضع الشاهد في هذا الحديث أن النبي ﷺ لم ينس السيدة خديجة، رضي الله عنها، بعد وفاتها، لأن كثرة الذكر والمدح والثناء يدلان على كثرة المحبة. كما أن إطعام صواحبها، رضي الله عنها، وإكرامهن مشعر باستمرار هذا الحب[٢١]. ومن يتأمل كلام أهل التفسير في قوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[٢٢]، أي أن الله أغناك بخديجة، رضي الله عنها[٢٣]؛ أدرك فضلها.

توفيت، رضي الله عنها، قبل الهجرة بثلاث سنين، وقبل معراج النبي ﷺ، ولها من العمر خمس وستون سنة، ودفنت بالمعلاة [صورة رقم ٢][٢٤]، لترحل من الدنيا، بعدما تركت سيرةً عطرة، وحياة حافلةً، لا يُنسيها مرور الأيام والشهور، والأعوام والدهور، فرضي الله عنها وأرضاها.



صورة رقم (٢) ضريح أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها بمقبرة المعلاة بمكة المكرمة.

أهم الأحداث والوقائع التي حدثت بدار السيدة خديجة، رضي الله عنها:

تعد دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، من الأماكن المأثورة التي تواترت، في أهميتها وفضلها، روايات العديد من المحدثين والمؤرخين والفقهاء. فقد ذكر أبو سليمان في كتابه (الأماكن المأثورة في مكة المكرمة)، أن دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، تحدث عن فضلها، وأهميتها، بعض العلماء والمؤرخين، من هؤلاء: الأزرقي، والفاكهي، وابن الجوزي، ومحب الدين الطبري، وعز الدين ابن جماعة، وتقي الدين الفاسي، وجمال الدين ابن ظهيرة، ومحمد بن علان الصديقي، والصباغ، وغيرهم[٢٥].

جاء عن القاضي عياض (ت٥٤٤هـ/١١٤٩م) في كتابه (الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ) فصل بعنوان (ومن إعظامه وإكباره)، قال فيه: «من إعظامه وإكباره، إعظام جميع أسبابه، وإكرام جميع مشاهده، وأمكنته من مكة والمدينة، ومعاهده، وما لمسه ﷺ أو عُرف به»[٢٦]. والمقصود بأسبابه، فراشه ولباسه. أما مشاهده، فهي الأماكن التي حضر بها. وأمكنته، هي المواطن التي حل بها. أما معاهده فهي الأماكن التي عهد إلفه بها ﷺ [٢٧]. قال القاضي عياض عن عظمة هذه الأماكن: «وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل، وتردد بها جبريل وميكائيل، وخرجت منها الملائكة والروح، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر، وانتشر عنها، من دين الله وسنة رسوله، ما انتشر، وأول أرض مس جلد المصطفى ترابها؛ أن تُعظّم عرصاتها، وتُتنسم نفحاتها، وتُقبل ربوعها، وجدرانها»[٢٨].

في هذه الدار أنجبت السيدة خديجة، رضي الله عنها، جميع أولاد النبي ﷺ، وفيها توفيت، ومكث النبي ﷺ فيها حتى هاجر إلى يثرب. وقيل: إن عقيل بن أبي طالب، باعها بعد هجرة النبي ﷺ، لمعاوية رضي الله عنه وهو خليفة، فبنى فيها مسجداً[٢٩]. وفي رواية: إن الذي باعها هو معتب بن أبي لهب[٣٠].

كانت هذه الدار قد شهدت انطلاق الرسالة التي حملها النبي ﷺ؛ إذ فيها نزل جبريل عليه السلام، على طه الأمين، موحيا بالقرآن العظيم. فنزلت فيها آيات الدعوة والتبليغ. وفيها وجد النبي ﷺ، أول نصرة وعون. أخرج البخاري ومسلم، (.. أن النبي ﷺ، رجع يرجف فؤاده، بعد نزول الوحي، فدخل على خديجة بنت خويلد، رضي الله عنها، فقال: «زملوني زملوني»، فزملوه، حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة، وأخبرها الخبر: «لقد خشيت على نفسي»، فقالت خديجة: كلا، والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتُكسب المعدوم، وتقري الضيف)[٣١].

وفي هذه الدار نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾[٣٢].

وللوحي في هذه الدار عدة نزولات؛ وقد سُمي المكان الذي كان ينزل فيه جبريل عليه السلام، فيما بعد، بقبة (الوحي) كما يقول الفاسي[٣٣].

وفيها أسلمت خديجة، رضي الله عنها، فهي أول من آمن بدعوته ﷺ إلى الإسلام. كما أسلم فيها زيد بن حارثة رضي الله عنه، مولى لخديجة، رضي الله عنها. وفيها أسلم علي ابن أبي طالب رضي الله عنه الذي تربى في هذه الدار[٣٤].

وفي هذه الدار غُسل قلب النبي ﷺ بماء زمزم. ومنها انطلقت رحلة الإسراء والمعراج. فقد ورد في (الصحيحين) عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «فُرج سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل عليه السلام، ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب، ممتلئ حكمة وإيمانا، فأفرغه في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء... »[٣٥].

هناك روايات تفيد بأن رحلة الإسراء انطلقت من المسجد الحرام. وأن حادثة الشق، حدثت في الحطيم، أو في الحجر[٣٦]. ويمكن الجمع بين الروايات، كما يقول ابن حجر، بأن الشق كان في بيته، ثم جاء به جبريل إلى المسجد الحرام[٣٧].

مكث النبي ﷺ في هذه الدار نحو ثمان وعشرين سنة: ثلاث عشرة سنة مدة الدعوة

بمكة المكرمة، وقبلها مكث خمس عشرة سنة، باعتبار أن النبي ﷺ تزوج وعمره خمس وعشرون سنة، كما بينا سابقا. ونزل عليه الوحي وهو في الأربعين من عمره ﷺ.

هذه الدار شهدت عدة أحداث؛ فقد درج بعض كفار قريش الذين كانوا يسكنون بجوار الدار على إلقاء الأوساخ، والدماء، أمامها، أو على بابها. واشتهر بذلك، عم النبي ﷺ، أبو لهب، وزوجه أم جميل، التي وصفها القرآن بأنها (حمالة الحطب)، وعقبة بن أبي مُعيط[٣٨].

ذكر الأزرقي، والفاكهي، والفاسي، أن النبي ﷺ، كان يختبئ في مكان معين من الدار؛ لينجو من حجارة الكفار. وقد نعت هذا المكان، فيما بعد، بقبة (المختبأ)، وتقع بجوار قبة الوحي[٣٩].

وكان بعض كفار مكة، يأتون إلى الدار، ليسمعوا القرآن، ويلغَوْا فيه. من هؤلاء أبو جهل، الذي كان يستمع، ثم يأتي اليوم التالي ويستهزئ بالنبي ﷺ، ويؤذيه[٤٠].

شهدت هذه الدار، استقبال المسلمين الجدد، وإكرامهم وإطعامهم، من السيدة خديجة، رضي الله عنها. وأقيمت فيها الدروس، خاصة دروس النساء، كما هي دار الأرقم بن أبي الأرقم، التي كان القرآن الكريم يدوّي بها.

وشهدت هذه الدار، محاصرة الكفار للنبي ﷺ، عندما أراد الهجرة ليثرب، وعزمهم على قتله. وفيها بات علي بن أبي طالب ﷺ مكان النبي ﷺ الذي خرج منها نهائيا، ولم يعد. وكان ذلك في السنة الثالثة عشرة من البعثة، ٦٢٢م[٤١].

هوامش الفصل الأول:

١ ابن هشام، عبد الملك بن هشام، **السيرة النبوية (سيرة ابن هشام)**، تحقيق: محمد علي قطب، ومحمد الدالي بلطه، جـ١ (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ١٤٠؛ ابن سعد، محمد بن سعد، **كتاب الطبقات الكبرى**، جـ٨(بيروت: دار صادر، د.ت)، ١٤– ١٥، ١٧؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، **سير أعلام النبلاء**، جـ٢ (الأردن: بيت الأفكار الدولية، ٢٠٠٤م)، ١٦١٣.

٢ ابن هشام، جـ١، ١٣٩.

٣ ابن سعد، جـ٨، ١٤– ١٥؛ الذهبي، جـ٢، ١٦١٣.

٤ ابن سعد، جـ٨، ١٥.

٥ ابن هشام، جـ١، ١٣٩– ١٤١؛ ابن سعد، جـ٨، ١٦– ١٩؛ الذهبي، جـ٢، ١٦١٣ – ١٦١٤.

٦ ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، تحقيق: عبد القادر شيبة الحمد، جـ١ (نشر المحقق، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، ٣٢ – ٣٣؛ النووي، يحيى بن شرف، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، كتاب الحج، تقديم: خليل مأمون شيحا، ط١٥، جـ٢ (بيروت: دار المعرفة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ٣٧٢ – ٣٧٦.

٧ سورة المدثر: ١ – ٤.

٨ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، ط١٣، جـ٣ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ)، ١٧–١٨.

٩ البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، كتاب: مناقب الأنصار، باب: تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها، ابن حجر، جـ٧، ١٦٢–١٦٣؛ مسلم، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، كتاب: فضائل الصحابة، جـ١٥، ١٩٥.

١٠ ابن حجر، جـ٧، ١٦٩.

١١ **صحيح مسلم**، كتاب: فضائل الصحابة، النووي، جـ١٥، ١٩٧.

١٢ ابن حنبل، أحمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، جـ٤١ (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م)، ٣٥٦.

١٣ ابن حجر، جـ٧، ١٦٢ – ١٦٣؛ النووي، جـ١٥، ١٩٧.

١٤ وردت روايات عديدة في هذا الصدد. ابن حجر، جـ٧، ١٦٢ – ١٦٣؛ النووي، جـ١٥، ١٩٧

١٥ ابن حجر، جـ٧، ١٦٢ – ١٦٣؛ النووي، جـ١٥، ١٩٧.

١٦ ابن حجر، جـ٧، ١٦٣؛ النووي، جـ١٥، ١٩٨.

١٧ **مسند الإمام أحمد**، جـ٥، ٧٧، ١١٣. قال المحقق: إسناده صحيح، رجاله ثقات، رجال الصحيح. (حاشية: ٢)

١٨ ابن حجر، جـ٧، ١٦٢؛ النووي، جـ١٥، ١٩٤.

١٩ ابن حجر، جـ٧، ١٦٣؛ الذهبي، جـ٢، ١٦١٣ – ١٦١٤.

٢٠ ابن حجر، جـ٧، ١٦٣.

٢١ ابن حجر، جـ٧، ١٦٦–١٦٧، الذهبي، جـ٢، ١٦١٢ – ١٦١٣.

٢٢ سورة الضحى: ٨.

٢٣ القرطبي، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: عبدالله التركي، ط٣، جـ٢٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، ٣٤٦.

٢٤ ابن سعد، جـ٨، ١٨؛ الذهبي، جـ٢، ١٦١٣ – ١٦١٤.

٢٥ أبو سليمان، عبد الوهاب إبراهيم، **الأماكن المأثورة المتواترة في مكة المكرمة**، (لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)، المقدمة، ١٥٤، ١٨٦ وما بعدها.

٢٦ القاضي عياض، عياض بن موسى، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، تحقيق: علي البجاوي، جـ٢ (بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت، ٦٢١ – ٦٢٤.

٢٧ القاضي عياض، انظر شرح المحقق، جـ٢، ٦١٩، حاشية الكتاب.

٢٨ القاضي عياض، جـ٢، ٦٢٢ – ٦٢٣.

٢٩ الفاكهي، محمد بن إسحاق، **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط٤، جـ٢ (مكة المكرمة: عبد الملك بن دهيش، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، ٧؛ الأزرقي، محمد بن عبد الله، **تاريخ مكة**، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، ط٨، جـ٢(مكة المكرمة: مكتبة الثقافة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، ١٩٩؛ الفاسي، محمد بن أحمد، **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، جـ١ (بيروت: دار الكتاب العربي،١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ٤٣٦.

٣٠ الأزرقي، جـ٢، ٢٤٦؛ الفاسي، جـ١، ٤٣٧.

٣١ ابن حجر، جـ١، ٣٢ – ٣٣؛ النووي، جـ٢، ٣٧٢ – ٣٧٦.

٣٢ سورة المدثر: ١ – ٤.

٣٣ الفاسي، جـ١، ٤٣٧.

٣٤ ابن قيم الجوزية، جـ٣، ١٧–١٨.

٣٥ ابن حجر، جـ١، ٥٤٧؛ النووي، جـ٢، ٣٩٠.

٣٦ ابن حجر، جـ٧، ٢٤١؛ النووي، جـ٢، ٣٨٩.

٣٧ ابن حجر، جـ٧، ٢٤٣.

٣٨ الفاكهي، جـ٤، ٩؛ المباركفوري، صفي الرحمن، **الرحيق المختوم**، (مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ٩٨ – ٩٩.

٣٩ الفاسي، جـ١، ٤٣٧

٤٠ المباركفوري، **الرحيق المختوم**، ١٠١؛

٤١ ابن قيم الجوزية، جـ٣، ٤٦؛ المباركفوري، **الرحيق المختوم**، ١٨٠ – ١٨١.

الفصل الثاني

موقع دار السيدة خديجة،
رضي اللّه عنها،
والدور التي كانت تحيط بها



إن بداية إقطاع الرباع، في مكة المكرمة، تعود إلى عهد قصي بن كلاب. فحين تولى رئاسة مكة، بعد سقوط حكم خزاعة، جمع قريشاً إليه، فَقَطَّع مكة رباعاً، ووزعها على القبائل؛ فقامت كل قبيلة ببناء منازلها في الرباع المخصصة لها. ثم أخذت القبائل، من بعد قصي، تختط لنفسها ولحلفائها رباعاً (أي منازل) يحوزونها ويبنون فيها، أو يتاجرون بالبيع والشراء، ولو كانت في غير الرباع التي خصصها قصي لهم[١].

في توزيع قصي للرباع، أخذ لنفسه وجه الكعبة، وبنى دار الندوة. ومنح بني مخزوم أجيادين، وبني جمح مسفلة مكة، وبني سهم الثنية (موضع الشبيكة اليوم)، ثم توالى التقسيم شاملاً للقبائل المكية الأخرى[٢].

قال الفاكهي: «حدثنا ابن أبي سلمة، قال: ثنا عبد الجبار بن سعيد، عن أبي بكر العائذي، قال: حدثني سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده، قال: منزلنا هذا بمكة، قطعه لنا قصي بن كلاب، وكذلك منازل قريش كلها بمكة.

وقال سفيان بن عيينة- فيما ذكر عنه: نزل الناس بمكة على أقدارهم، فلبني عبد مناف وجه الكعبة، والمسيل، والردم إلى المعلاة. قال: فلم تزل قريش تحوز رباعها وتبيعها حتى جاء الله بالإسلام وهم على سكنتهم ومنازلهم. فلما دخل رسول اللهﷺ، عام الفتح، خطب الناس يومئذ، فأقرهم على رباعهم ومنازلهم التي كانوا عليها، ولم يخرج أحداً من ربعه ولا من منزله، عفوا منه، وصفحاً عنهم. ثم لم يزد

الإسلام ذلك إلا شدة وتوكيداً، وذلك حين يقول رسول اللهﷺ لصفوان بن أمية، وذلك من بعد عام الفتح، وقد قدم عليه المدينة يطلب الهجرة، فقال له رسول اللهﷺ: ارجع، أبا وهب، إلى الأبطح، فقروا على سكنتكم»[٣].

كانت رباع بني أسد بن عبد العزى، التي أقطعها لهم قصي بن كلاب، في مواقع مميزة بمكة المكرمة. بعض دورهم كانت قريبة من الكعبة المشرفة، من غربيها، منها دار حُمَيد بن زهير، التي كانت في ظهر الكعبة، تفيء على الكعبة، والكعبة تفيء عليها، حتى تصدَّق بها لصالح الكعبة المشرفة. ومنها دار أسد بن عبد العزى، التي كانت مواجهة للكعبة من شقها الغربي، بينها وبين الكعبة تسعة أذرع، وسميت الدار، يومذاك، برضيعة الكعبة، حتى أدخلها عمر بن الخطابرضي الله عنه في المسجد الحرام. ومنها أيضاً، في سكة الحزامية، إلى الجنوب الغربي من المسجد الحرام، دار حكيم بن حزام، ودار الزبير، ودور أخرى له، هي: دار الزنج، ودار البُخْت التي كانت بين دار الندوة ودار العجلة. ودور لمصعب بن الزبير، والمنذر بن الزبير. وكانت هنالك أيضاً، في سكة الحزامية، قريباً من دار حكيم بن حزام، دار للسيدة خديجة، رضي الله عنها، وهي من بني أسد بن عبد العزى، لها جدار مما يلي دار الزبير[٤]. وتلك الدار، التي كانت في رباع بني أسد بن عبد العزى، التي أقطعها لهم قصي بن كلاب، غير الدار موضوع هذه الدراسة. فالدار التي نحن بصددها هي الدار التي كانت قد اشترتها السيدة خديجة، رضي الله عنها، في رباع بني عبد شمس، قريباً من رباع بني هاشم حيث ولد رسول الله ﷺ، وهي المنطقة التي تشمل المناطق الشرقية والشمالية الشرقية للمسجد الحرام.

وفقاً للمعطيات التاريخية التي قدمها مؤرخو مكة المكرمة الأوائل، فقد كان للسيدة خديجة، رضي الله عنها، دار في رباع بني عبد شمس. فالسيدة خديجة، رضي الله عنها، كغيرها من أهل مكة، الميسورين منهم خاصة، تعددت بيوتهم في

مواضع مختلفة، فلم يلتزموا فقط بما أقطعهم إياه قصي في أول أمرهم، وإنما حاز بعضهم رباعاً (أي منازل) في غير ما خصصه قصي، يبنون فيها أو يتاجرون بها(٥). وهذا ما فعلته السيدة خديجة، رضي الله عنها، إذ اشترت في رباع بني عبد شمس، وابتنت الدار التي جمعت بينها وبين رسول الله ﷺ، وأنجبت فيها أولاد وبنات الرسول ﷺ، وكان فيها مولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها. وقد عرفت، ضمن ما عرفت به، ببيت النبي ﷺ. فقد ذكر الفاكهي عند حديثه عن دار آل عدي بن الحمراء الثقفيين: «ولآل عدي بن الحمراء دارهم التي في ظهر دار ابن علقمة، في زقاق أصحاب الشيرق، يقال لها دار العصاميّين، بين دار الفضل بن الربيع التي يقال لها دار القدر، إلى بيت النبي ﷺ، التي يقال لها بيت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها»(٦).

وقال الفاكهي في موضع آخر، ضمن حديثه عن منازل ودور بني أسد بن عبد العزى في مكة: «ولهم بيت خديجة بنت خويلد، رضي الله عنها، الذي دُبُر آل عدي ابن الحمراء الثقفيين، الذي اتخذ مسجداً أيضاً فيه»(٧)؛ إشارة إلى المسجد الذي أحدثه معاوية في الدار بعد شرائه لها.

ومن المعروف أن دور آل عدي بن الحمراء كانت شمال شرق المسجد الحرام، خلف دار ابن علقمة التي كانت شارعة على المسعى. وبقية المواضع التي ذكرها الفاكهي، مثل دار الفضل بن الربيع، وزقاق أصحاب الشيرق، معروفة ومشهورة بمواضعها شمال شرق المسجد الحرام.

يدعم ما سبق حديث الأزرقي والفاكهي عن الأبواب الشرقية للمسجد الحرام حين قالا: «... ومنها باب النبي ﷺ، وهو الباب الذي مقابل زقاق العطارين، وهو الزقاق الذي يسلك منه إلى بيت خديجة بنت خويلد، رضي الله عنها» [صورة رقم ٣](٨). وتشير الروايات إلى أن معاوية بن أبي سفيان، لما اشترى الدار، فتح باباً منها إلى دار أبيه

أبي سفيان[٩]. ودار أبي سفيان في رباع بني عبد شمس، شمال شرق المسجد الحرام.



صورة رقم (٣) باب النبي ﷺ في المسجد الحرام.

من الشواهد التاريخية التي تؤكد أن الدار كانت لبني عبد شمس، ثم آلت ملكيتها للسيدة خديجة، رضي الله عنها، ما ذكره البلاذري، عند حديثه عن الآبار الجاهلية في مكة، بقوله: حفر عبد شمس بئرين سماهما (خم) و(رم)، فأما (خم) فكانت عند الردم، وأما (رم) فكانت عند دار خديجة بنت خويلد، رضي الله عنها[١٠].

بناء على ما تقدم فإن دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، كان موقعها شمال شرق المسجد الحرام، ضمن رباع بني عبد شمس بن عبد مناف. وفي هذه الدار جاورت السيدة خديجة، رضي الله عنها، عدداً من سادة بني عبد شمس في دورهم بالرباع المذكورة، كان منها: دار أبي سفيان بن حرب، ودار آل سعيد بن العاص، ودار آل عدي بن الحمراء، ودار ابن علقمة الكناني، ودار الحكم بن أبي

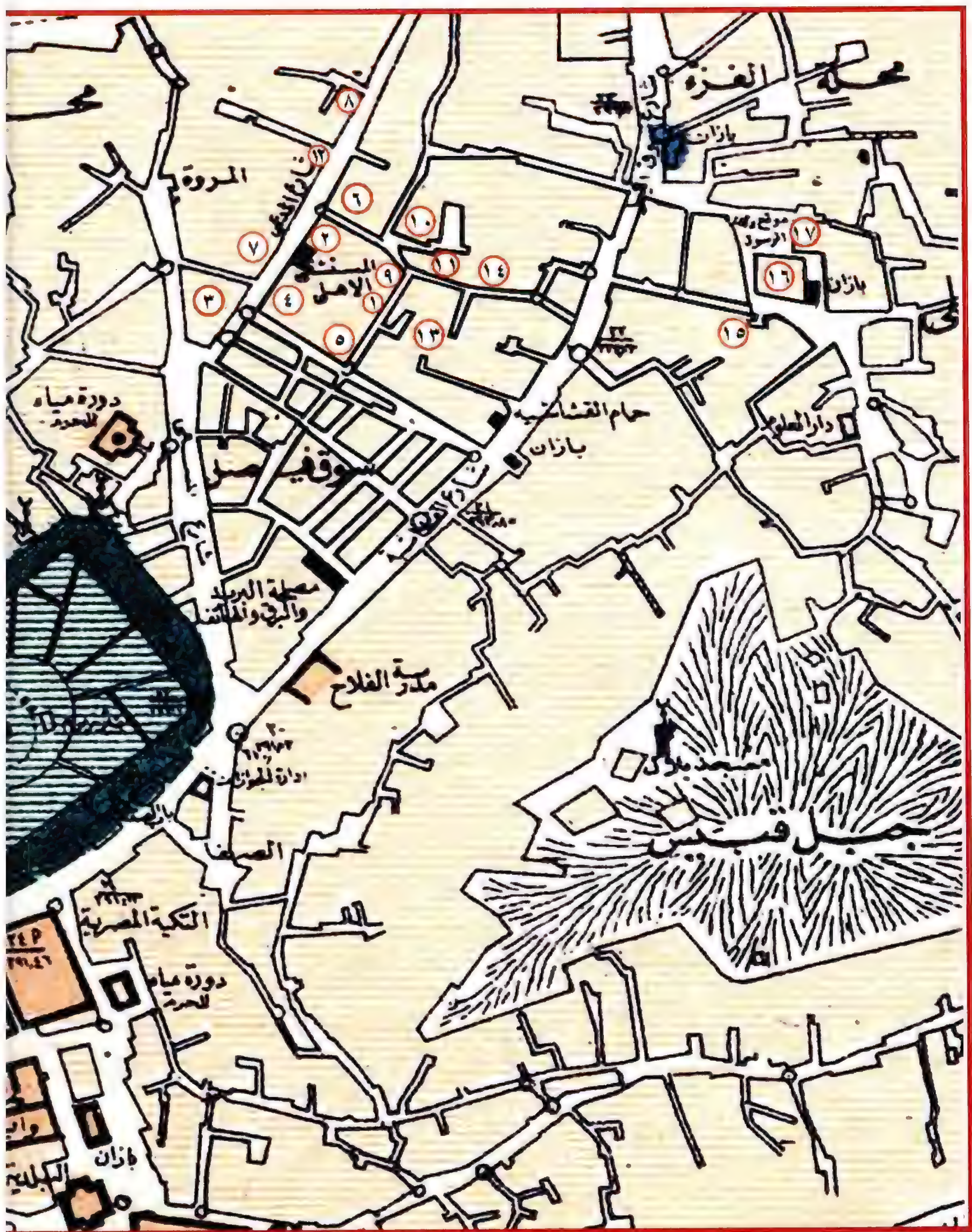
العاص، ودار الوليد بن عتبة، وغيرها من دور سادة بني عبد شمس. وكانت بالقرب منها بعض أسواق مكة القديمة، منها أسواق: البرّامين، والخرّازين، والقوّاسين، واللبّانين. وتقع قريباً منها رباع بني هاشم، التي فيها الدار التي ولد فيها سيدنا رسول اللهﷺ. وربما أرادت السيدة خديجة، رضي الله عنها، من شرائها للدار، في تلك المنطقة تحديداً، أن يكون الرسولﷺ قريباً من رباع أهله بني هاشم، وقريباً من موضع مسقط رأسهﷺ، والله أعلم. [خارطة رقم ١]

مؤرخو مكة المتأخرون أقروا الأزرقي والفاكهي في ما أورداه بشأن الدار، الأمر الذي جعلها معروفة ومشهورة لهم؛ فاهتموا برصد كل ما يتعلق بالدار وبتاريخها، من أحداث، وعمارة، وإصلاح، وتوسعة، وتجديد، وما طرأ على الدار وما حولها من تغير في بعض الأسماء، مثل زقاق العطارين الذي أصبح يعرف، فيما بعد، بزقاق الحجر. وكان بعض المؤرخين يأتون على ذكر الاسمين: القديم (زقاق العطارين)، والمعاصر لهم (زقاق الحجر)، الذي احتفظ بهذا الاسم حتى عصرنا الحاضر [١١]. يقول في ذلك ابن الضياء (ت٨٥٤هـ/١٤٥٠م): «دار أم المؤمنين خديجة، رضي الله عنها، بالزقاق المعروف بزقاق الحجر، ويقال له قديما: زقاق العطارين...»[١٢].

كما أطلق على هذه الدار، في وقت لاحق، (مولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها)، إلى جانب ما كانت قد اشتهرت به من نسبتها إلى السيدة خديجة، رضي الله عنها[١٣].

نستنتج من كل تلك النصوص التاريخية التي تناولت دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، أنها هي الدار التي كانت تقع في الجهة الشمالية الشرقية من المسجد الحرام، وهو ما يتطابق مع ما ذكره أبو سليمان في تحديده للموضع، حين قال: «موقع هذا المنزل المبارك في الوقت الحاضر في الساحة الشرقية،

لدى المصباح الكبير مقابل باب السلام، على بعد اثني عشر متراً، في اتجاه الشمال نحو المدعى، حيث شاهدت مخطط هذا الموقع، شخصياً، بحضور أحد المسؤولين في مؤسسة ابن لادن مع كل من الدكتور عويد المطرفي، رحمه الله تعالى، والدكتور عبد الله شاووش، في رمضان ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، فتبين الأمر على خلاف ما يعتقد بعض أن هذا المنزل يقع في إطار الميضأت» [١٤].



خارطة رقم (١) توضح موقع دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، والدور والاسواق المجاورة لها. وقد تم إسقاط الدور على خارطة هيئة المساحة المصرية.



١- بيت السيدة خديجة (رضي الله عنها)
٢- بيت أبي سفيان
٣- دار ابن علقمة الكناني
٤- دار آل عدي بن الحمراء
٥- دار أبي لهب
٦- دار الحكم بن أبي العاص
٧- دار الوليد بن عتبة
٨- سوق القوارير
٩- دار زياد بن أبي سفيان
١٠- دار سعيد بن العاص
١١- دار حنظلة بن أبي سفيان (أصحاب الخرز)
سوق الخرز
١٢- سوق أصحاب الشيرق
١٣- سوق أصحاب الشوحط (سوق القواسين)
١٤- سوق اللبانين
١٥- دار أبي طالب
١٦- دار العباس بن عبد المطلب
١٧- دار المولد (ﷺ)

هوامش الفصل الثاني:

١ الفاكهي، محمد بن اسحاق، **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، ط ٤، جـ ٣ (مكة المكرمة: عبد الملك بن دهيش، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م)، ٢٥٩.

٢ الفاكهي، جـ ٣، ٢٦٠.

٣ الفاكهي، جـ ٣، ٢٦٠ – ٢٦١.

٤ الفاكهي، جـ ٣، ٣٠٥، ٣٠٩.

٥ الأزرقي، محمد بن عبد الله، **تاريخ مكة**، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، ط ٦ ، جـ ٢ (مكة المكرمة: مكتبة الثقافة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م)، ٢٢٧ وما يليها؛ والفاكهي، جـ ٣، ٢٦٣ وما يليها.

٦ الفاكهي، جـ ٣، ٣١٧.

٧ الفاكهي، جـ ٣، ٣٠٨.

٨ الأزرقي، جـ٢، ٧٨؛ الفاكهي، جـ ٢، ١٧٠.

٩ الأزرقي، جـ ٢، ٢٠٠.

١٠البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، **فتوح البلدان**، حققه وشرحه: عبدالله أنيس الطباع، (بيروت: مؤسسة المعارف، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ٦٥.

١١الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد، **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، جـ١ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م)، ٤٣٦؛ ابن الضياء، محمد بن أحمد بن محمد، **البحر العميق في مناسك المعتمر والحاج إلى بيت الله العتيق**، تحقيق: عبد الله نذير مزي، جـ٥ (مكة المكرمة: المكتبة المكية، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦م)، ٢٦٣٧؛ ابن ظهيرة، محمد بن محمد، **الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف**، تحقيق: علي عمر، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣ م)، ٢٨٦؛ الطبري، علي بن عبد القادر، **الأرج المسكي في التاريخ المكي**، تحقيق: أشرف الجمال (مكة: المكتبة التجارية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، ٦٩؛ الصباغ، محمد بن أحمد، **تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام**، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، جـ ١ (مكة: مكتبة الأسدي، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م)، ٥٤٦؛ غازي، عبد الله بن محمد، **إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام مع تعليقه المسمى بإتمام الكلام**، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، جـ٢ (مكة المكرمة: مكتبة الأسدي، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)، ٧٣.

١٢ابن الضياء، جـ ٥، ٢٦٣٧.

١٣الفاسي، **الشفاء**، جـ ١، ٤٣٦؛ ابن الضياء، **البحر العميق**، جـ ٥، ٢٦٣٧؛ ابن ظهيرة، **الجامع اللطيف**، ٢٨٦؛ الطبري، **الأرج المسكي**، ٦٩؛ الصباغ، جـ ١، ٥٤٦؛ الغازي، مج ٢، ٧٣.

١٤أبو سليمان، عبد الوهاب إبراهيم، **الأماكن المأثورة المتواترة في مكة المكرمة**، (لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)، ١٥٥.

الفصل الثالث

عمارة دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، عبر التاريخ من خلال روايات المؤرخين



إن هيئة وشكل عمارة دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، عند بداية بنائها، لا تعلم يقيناً، إن كانت مربعة الحجرات، أو مدورة الشكل. فقد وردت روايات عدة نسبت إلى الأزرقي والفاكهي، مفادها أن أهل مكة كانوا يبنون بيوتهم مدورة، تعظيماً للكعبة المشرفة. ذكر الأزرقي رواية إسنادها صحيح: «حدثنا أبو الوليد، قال: حدثني جدي، عن سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، قال: إنما سميت الكعبة، لأنها مكعبة على خلقة الكعب. قال: وكان الناس يبنون بيوتهم مدورة تعظيما للكعبة. وأول من بنى بيتاً مربعاً حُميد بن زهير، فقالت قريش:

رَبَّع حُميد بن زهير بيتاً .. إما حياة وإما موتاً»(١)

وقال الفاكهي، في حديث ضعيف الإسناد: «حدثنا الحسن بن عثمان بن أسلم، عن الواقدي، قال: فحدثني موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أبي بكر ابن عبد الله بن أبي جهم، عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة، عن أبي جهم ابن حذيفة بن غانم، قال: كانت قريش في الجاهلية لا يبنون بيتاً مربعاً بمكة. [رسم رقم ٢]

وقال الواقدي: وحدثني إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن طلحة، عن محمد ابن زيد ابن المهاجر، عن إبراهيم ابن محمد ابن طلحة، قال: أول من بنى بيتاً مربعاً حُمَيد بن زهير، قال إبراهيم: وكانت الأئمة لا يدعون أحداً يبني بيتاً مربعاً بمكة.

قال الواقدي: وحدثني محمد بن عبد الله، عن الزهري، قال: ما بني بمكة بيت مربع حتى كانت فتنة عثمانﷺ»(٢).

إذا افترضنا صحة الروايتين، أو إحداهما، في أن الدور التي كانت تبنى في رباع مكة، كانت مدورة، حتى بنى حميد بن زهير، (وهو من آل أسد بن عبد العزى، ولم يرد في كتب التراجم ما يشير إلى تاريخ مولده أو وفاته)، بناء مربعاً، على رواية الأزرقي؛ أو إلى عهد فتنة عثمانﷺ، على رواية الفاكهي؛ فإن الاحتمال الأقرب، وفق تواتر الروايات، هو أن البناء المربع للدور أو الحجرات في مكة المكرمة لم يكن مألوفاً قبل ظهور الإسلام، ولم تدخل في عمارة الدور المكية إلا بعد العقد الثالث من بداية التاريخ الهجري/ العقد الخامس من القرن السابع الميلادي، الأمر الذي يقودنا إلى الاستنتاج بأن دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، عند بداية إنشائها قبل الإسلام، ربما لم تكن تختلف عن النمط المعماري الذي كان سائداً في مكة المكرمة قبل الإسلام من بناء الدور على هيئة مدورة.



رسم رقم (٢) تخيلي للدور المكية التي كانت تحيط بالكعبة المعظمة ضمن الرباع التي خصصها قصي بن كلاب للقبائل المكية.

كانت الدار في عهد النبوة بسيطة في مكوناتها المعمارية، كمعظم البيوت المكية؛ فكانت تتكون من حجرتين مسقوفتين: إحداهما، حجرة مولد فاطمة، رضي الله عنها، والأخرى حجرة قبة الوحي، أو حجرة السيدة خديجة، رضي الله عنها، كما وسمها بعض، وفناء مكشوف من الجهة الجنوبية تشرف عليه الحجرتان السابقتان، أطلق المؤرخون فيما بعد على جزء منه اسم (المختبأ)، ووسمه آخرون بـ(قبة الوحي). وسيأتي لاحقاً تفسير ذلك الاختلاف في موضعه من هذه الدراسة.

بعد وفاة أم المؤمنين السيدة خديجة، رضي الله عنها، [صورة رقم ٤] آلت الدار وملكيتها للنبيﷺ. وعقب الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة أخذ الدار معتب بن أبي لهب[٣]؛ وقيل: إنها آلت إلى عقيل بن أبي طالب[٤]. يقول ابن تيمية:«كان عقيل ابن أبي طالب أخذ مسكنه الذي ولد فيه، وأما بيت خديجة فأخذه معتب بن أبي لهب، وكان أقرب الناس إليه جوارا»[٥].



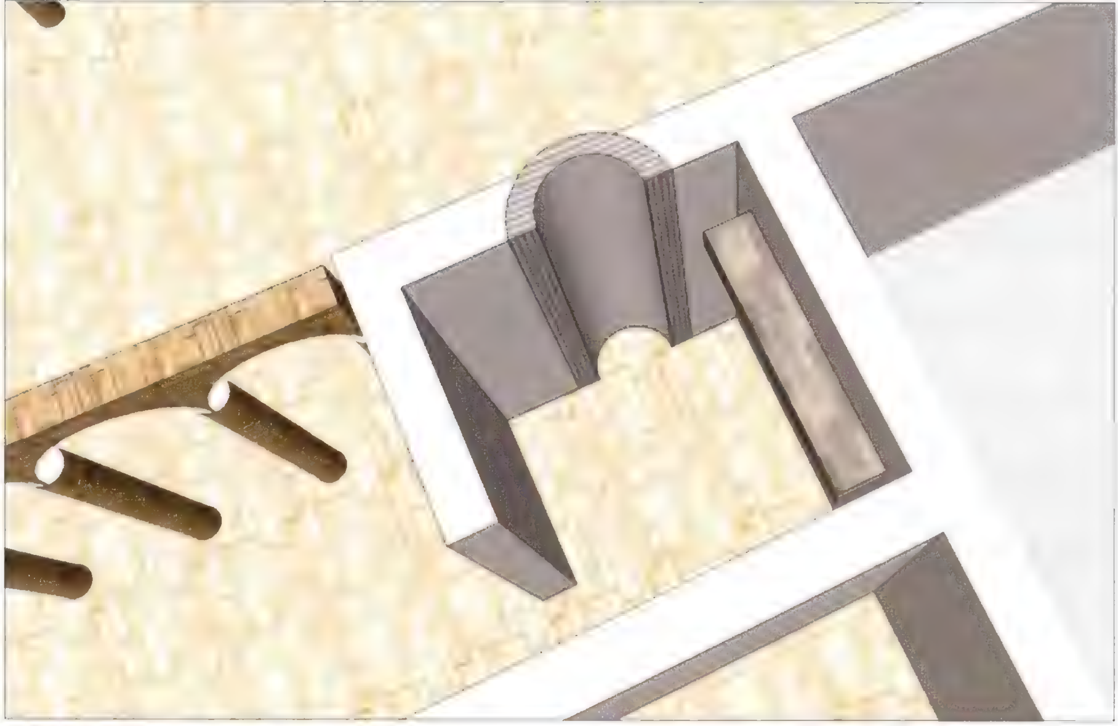
صورة رقم (٤).

يذكر الأزرقي أن معاوية بن أبي سفيان ﷺ اشترى الدار من معتب بن أبي لهب بنحو ١٠٠ألف درهم. وبقيت الدار على صفتها، «فلما آلت الخلافة لمعاوية، جعل الدار مسجدًا يصلى فيه، وبناه بناءه هذا، وحدد الحدود التي كانت لبيت خديجة، رضي الله عنها، لم تُغير، فيما ذكر عن من يوثق به من المكيين.»[٦] وأضاف الأزرقي أنه فتح فيها بابًا من دار أبي سفيان بن حرب ﷺ، كان قائما إلى عهده، وهي الدار التي قال رسول الله ﷺ، يوم الفتح: (من دخل دار أبي سفيان، فهو آمن) وهي الدار التي يقال لها اليوم: دار ريطة بنت أبي العباس[٧].

وقد تصدّق معاوية ﷺ، بهذه الدار، حالها حال بقية الدور التي اشتراها في مكة. فقد رُوي عن ذكوان، مولى أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، قال: إن معاويةﷺ، دخل على عائشة، رضي الله عنها، منزلها، فقالت: أنت الذي عمدت إلى مكة، فبنيتها مدائن وقصوراً، وقد أباحها الله، عز وجل، للمسلمين، وليس أحد أحق بها من أحد؟. قال: يا أم المؤمنين، إن مكة كِداء، ولا يجدون ما يكنهم من الشمس والمطر، وأنا أشهدك أنها صدقة عليهم. قال أبو زيد المدني: أشهدوا على شهادة ذكوان، أنها صدقة[٨].

مما أورده الأزرقي، يتضح أن معاوية ﷺ حدّد حدود دار أم المؤمنين خديجة، رضي الله عنها، وأنشأ مسجدا ملاصقا لها، ويظهر من ذلك مدى العناية التي أولاها معاويةﷺ لهذا المعلم والأثر التاريخي، منذ وقت مبكر. واستمرت هذه الهيئة المعمارية للدار حتى نهاية القرن الثالث الهجري تقريبا / التاسع الميلادي. يذكر الفاكهي ما ورد عند الأزرقي من أن الدار كانت، على عهده، على صفة مسجد. وكان بها صفيحة من حجارة مبني

عليها في الجدار، خارجة عنه، ترتفع عن الأرض إلى قدر ما يستظل تحتها الرجل، وكانت أطوالها ذراعاً في ذراع وشبر[٩]. [رسم رقم ٣]



رسم رقم (٣) تخيلي ثلاثي الأبعاد لحجرة المختبأ، تظهر فيه الصفيحة الصخرية التي كان الرسول ﷺ يتستر تحتها تفاديا للحجارة التي كانت تلقى عليه ﷺ من الدور المجاورة.

ناقش المؤرخون المكيون سبب وجود هذه الصفاح من الحجارة في جدار فناء بيت النبيﷺ، إذ جاءت مرويات بأن النبي ﷺ كان يستتر بها من رمي الحجارة، التي كانت تأتيه من داري أبي لهب، وعدي بن الحمراء الثقفي. وقال آخرون: إن هذه الصفاح من الحجارة كانت من العناصر الجمالية في العمارة المكية آنذاك، إذ جرت العادة على وضع صفاح من الحجارة في الجدار، تكون شبه رفوف يوضع عليها المتاع، وبهذا قال الأزرقي. بينما مال الفاكهي إلى الرأي الأول، وأكد عليه بقوله: والقول الأول أثبت[١٠].

بقيت دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، طوال العصور اللاحقة، إلى منتصف القرن الرابع عشر الهجري/العشرين الميلادي، مشهورة المكان،

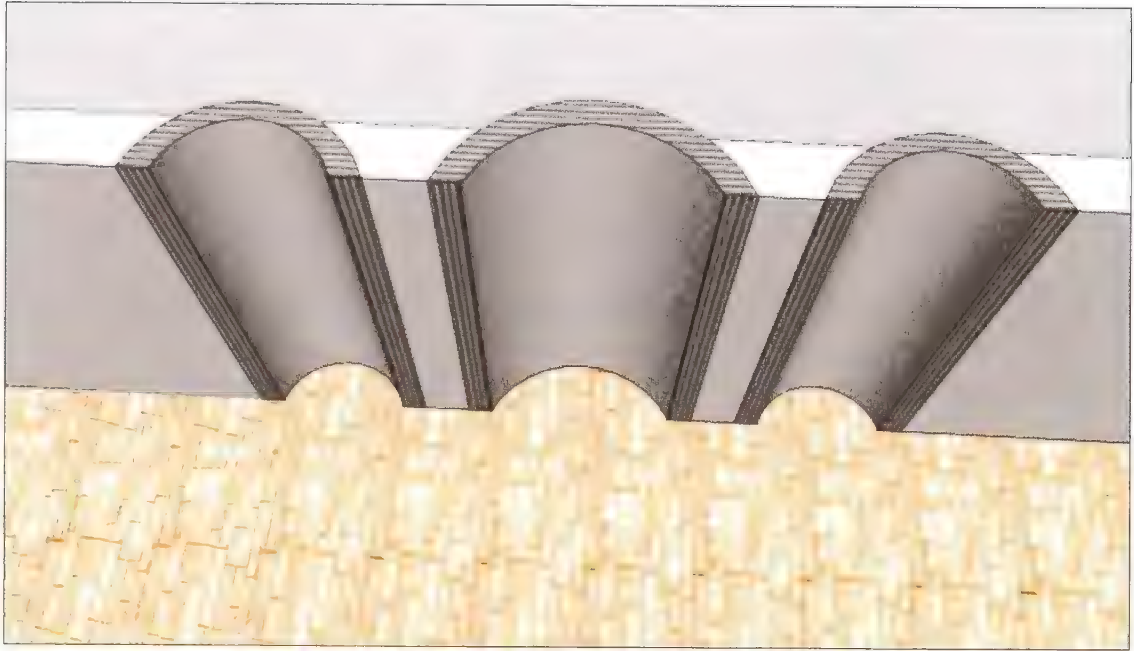
معروفة الحدود و المعالم؛ تتواتر هذه المعرفة عند المكيين، بالنقل جيل عن جيل؛ وعبر ما أفردته كتب (التاريخ)، و(المناسك)، و(الرحلات) لهذه الدار من تحقيقات للموقع، ووصف للبناء ومعالمه. ولم يكن ذلك إلا لكونه معلماً مأثورا له أهميته التاريخية، والاجتماعية، والآثارية، فضلاً عن الأهمية الإسلامية؛ حتى إن جماعة من المؤرخين، منهم الطبري في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي، جاء في كثير من أقوالهم ما يدل على عظم المكانة التي كانت تتمتع بها دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، في نفوس المسلمين. يقول الطبري صاحب (الأرج المسكي): «ودار خديجة، رضي الله عنها، أفضل محل بالحرم بعد المسجد الحرام»(١١).

كانت الدار موضع عنايه ورعاية السلاطين والملوك، وحكام الحجاز، يتعهدونها بالبناء والترميم، بما يليق بمكانتها وأهميتها في التاريخ الإسلامي.

في النصف الثاني من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، قدّم الرحالة ابن جبير وصفا معماريا لمخطط دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، وبين أنها كانت تتكون من عدة مواضع، مسقوف بعضها بالقباب. منها حجرة قبة الوحي، وقبة صغيرة في حجرة أخرى من الدار، كان فيها مولد فاطمة، رضي الله عنها. ويختم وصفه بقوله: «وهذه المواضع المقدسة المذكورة مغلقة مصونة قد بنيت بناء يليق بمثلها»(١٢).

المؤرخ الفاسي، في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، قدم وصفا مكانيا ومعماريا لدار السيدة خديجة، رضي الله عنها، وذكر أن صفتها المعمارية، في عهده، كانت على هيئة مسجد، وإن كانت اشتهرت باسم (الدار).

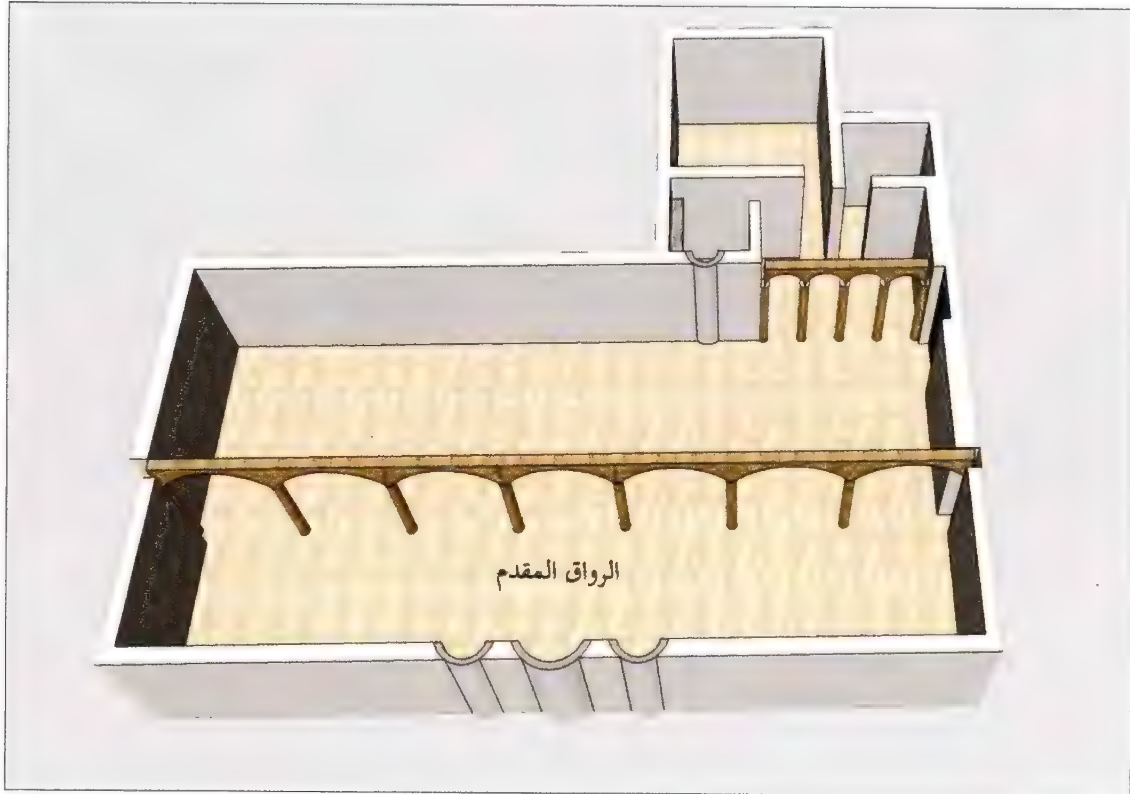
الفاسي وصف عمارة الدار من خلال محورين: الأول، وصف فيه المسجد الملحق بالدار، فقال: وغالب هذه الدار الآن على صفة المسجد؛ لأن فيها رواقاً فيه سبعة عقود على ثمانية أساطين. في وسط جداره القبلي ثلاثة محاريب. وفيه ست وعشرون سلسلة في صفين. وأمامه رواق فيه أربعة عقود على خمس أسطوانات. وبين هذين الرواقين صحن. والرواق الثاني أخصر من الرواق المتقدم، لأنه كانت هناك بعض المواضع التي يقصدها الناس بالزيارة في هذه الدار[١٣]. وذرع ما بين كل أسطوانتين منه خمسة أذرع وربع (٥,٢٥) = (٢,٩٥م)[١٤]. [رسم رقم ٤]



رسم رقم (٤) تخيلي ثلاثي الأبعاد للمحاريب الثلاثة في واجهة الرواق المقدم للمسجد.

وذرع الرواق المقدم من هذه الدار (٣٨ X ٧,٢٥) = (٢١,٤٢ م X ٤,٠٨ م)، على النحو الآتي:

من وسط جداريه على الاستواء ثمانية وثلاثون ذراعاً (٣٨)، هذا ذرعه طولاً. وذرعه عرضاً سبعة أذرع وربع (٧,٢٥)[١٥]. [رسم رقم ٥]



رسم رقم (٥) تخيلي ثلاثي الأبعاد لكامل الدار والمسجد يظهر فيه الرواق المقدم بمحاريبه الثلاثة، وكذلك الأسطوانات الثماني والعقود السبعة.

وذرع الرواق المؤخر من هذه الدار (٢٣ × ١٠) = (١٢,٩٦م × ٥,٦٤م)، على النحو الآتي:

من جدار قبة الوحي إلى الجدار المقابل له، ثلاثة وعشرون ذراعاً (٢٣)، هذا ذرعه طولاً. وذرعه عرضاً عشرة أذرع (١٠)[١٦]. [رسم رقم ٦]



رسم رقم (٦) تخيلي ثلاثي الأبعاد للرواق المؤخر بأسطوناته الخمس وعقوده الأربعة.

المحور الثاني، تناول فيه الفاسي حجرات الدار الرئيسة، التي كانت تمثل الجزء القديم من الدار، الذي كان على عهد النبي ﷺ. فقال: وهي ثلاثة مواضع.

الأول: الموضع الذي يقال له مولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها.

والثاني: الموضع الذي يقال له قبة الوحي، وهو ملاصق لمولد فاطمة، رضي الله عنها.

والثالث: الموضع الذي يقال له المختبأ، وهو ملاصق لقبة الوحي[١٧].

وذرع حجرة مولد السيدة فاطمة (٤,٨٧٥ × ٣,٣٧) = (٢,٧٤م × ١,٨٩م)، على النحو الآتي:

والموضع الذي يقال له (مولد فاطمة) طوله خمسة أذرع إلا ثمنا (٤,٨٧٥)، وعرضه من وسط جداره ثلاثة أذرع وربع وثُمن (٣,٣٧). وفي هذا الموضع موضع صغير على صفة البركة المدورة، وسعة فمها طولاً، من داخل البناء

المحوط عليه، ذراع. وعرضها كذلك. وفي وسطها حجر أسود يقال: إنه مسقط رأسها[١٨]. [رسم رقم ٧]



رسم رقم (٧) تخيلي ثلاثي الأبعاد لحجرة مولد السيدة فاطمة فتظهر في وسطها علامة الموضع الذي ولدت فيه فاطمة رضي الله عنها.

وذرع قبة الوحي (٨,٦٦ X ٨,٥) = (٤,٨٨م X ٤,٧٩م)، على النحو الآتي:

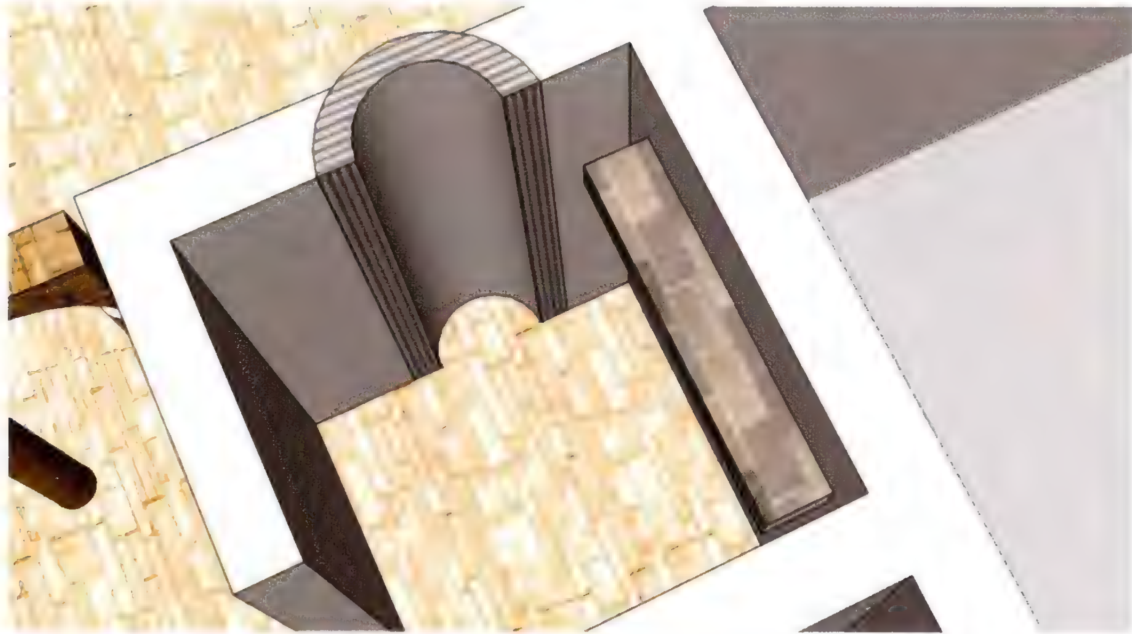
وذرع الموضع الذي يقال له (قبة الوحي) من الجدار الذي فيه بابه إلى الجدار المقابل ثمانية أذرع وثلثا ذراع (٨,٦٦)، هذا ذرعه طولاً، وأما ذرعه عرضاً فثمانية أذرع ونصف (٨,٥)، بذراع الحديد[١٩]. [رسم رقم ٨]



رسم رقم (٨) تخيلي ثلاثي الأبعاد لحجرة قبة الوحي كما كانت في عهد الفاسي.

ذرع المختبأ بالذراع (٤,٣٣ × ٣,٦٦) = (٢,٤٤م × ٢,٠٦م) على النحو الآتي:

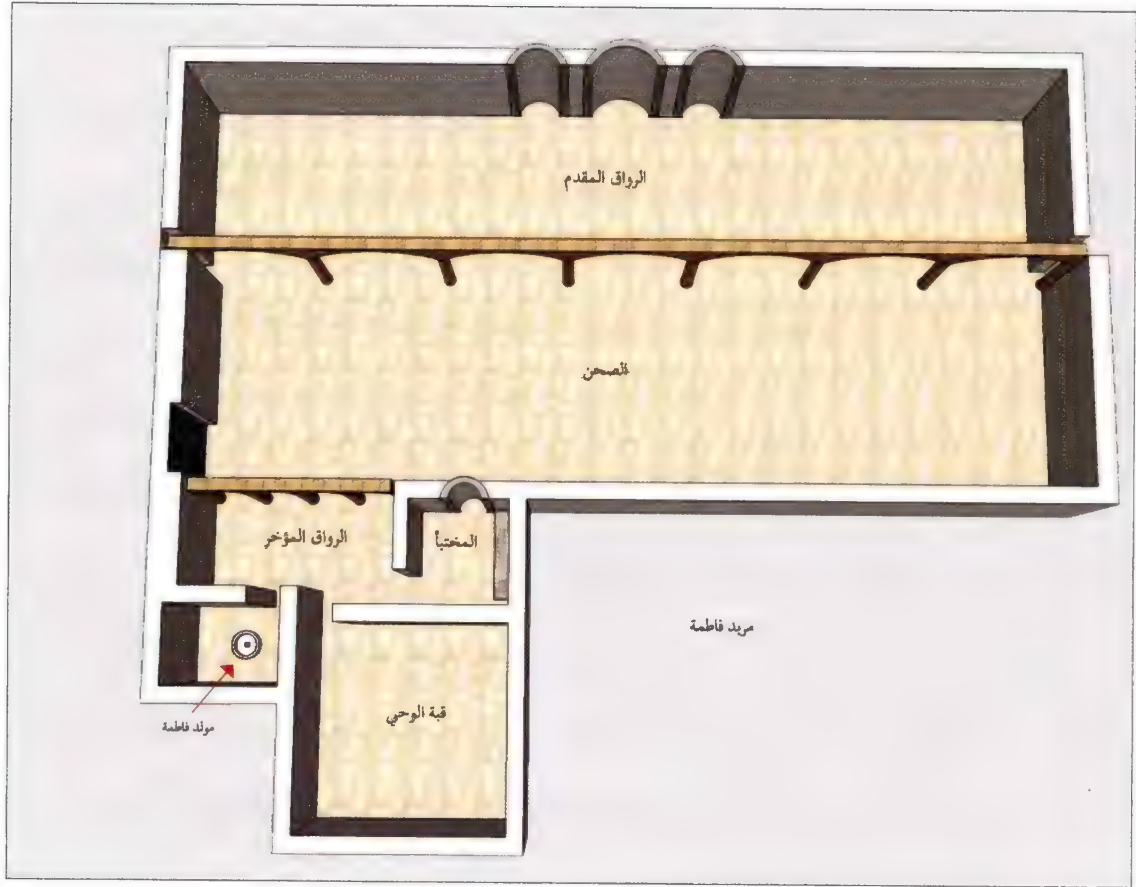
وذرع الموضع الذي يقال له (المختبأ) أربعة أذرع وثلث ذراع (٤,٣٣)، وذلك من الجدار الذي فيه المحراب إلى الجدار المقابل له، وهو طرف جدار قبة الوحي الغربي، هذا ذرعه طولاً. وذرعه عرضاً ثلاثة أذرع وثلثا ذراع (٣,٦٦)، وذلك من الجدار الذي فيه بابه إلى الجدار المقابل له[٢٠]. [رسم رقم ٩]



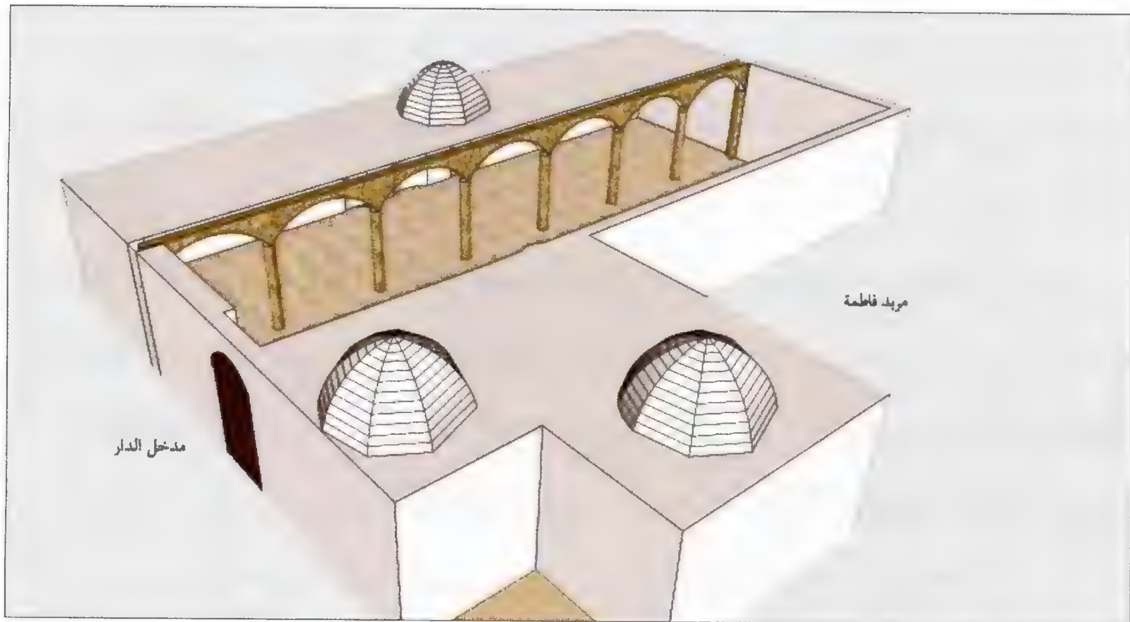
رسم رقم (٩) تخيلي ثلاثي الأبعاد لحجرة المختبأ تظهر في جدارها الشمالي الغربي الصفيحة التي كان يحتمي تحتها الرسول ﷺ.

وأكّد الفاسي، في ختام كلامه، دقة الأطوال، والذراع المقاس به فقال: «وكان تحرير ما ذكرناه من ذرع هذه المواضع بذراع الحديد، وحرر ذلك بحضوري»[٢١].

جدول أبعاد وقياسات الفاسي لدار السيدة خديجة وملحقاتها بالذراع والمتر			
م	الموضع	القياس بذراع الحديد	القياس بالمتر
١	مولد السيدة فاطمة	٣,٣٧ × ٤,٨٧٥	١,٨٩ × ٢,٧٤
٢	قبة الوحي	٨,٥ × ٨,٦٦	٤,٧٩ × ٤,٨٨
٣	المختبأ	٣,٦٦ × ٤,٣٣	٢,٠٦ × ٢,٤٤
٤	رواق ١ المقدم	٧,٢٥ × ٣٨	٤,٠٨ × ٢١,٤٢
٥	رواق ٢ المؤخر	١٠ × ٢٣	٥,٦٤ × ١٢,٩٦
٦	المسافة بين كل أسطوانتين	٥,٢٥	٢,٩٥



رسم رقم (١٠) تخيلي ثلاثي الأبعاد لمسقط كامل الدار، والمسجد.



رسم رقم (١١) تخيلي ثلاثي الأبعاد لشكل الدار، والمسجد، وموضع المربد، ومدخل الدار، والقباب الثلاث التي كانت في عهد الفاسي.

في القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي، كانت الدار، فيما يبدو، على التصميم العمراني نفسه الذي كانت عليه خلال القرنين السابقين، مع اشتهارها باسم (مولد فاطمة، رضي الله عنها)، وإن كانت هذه التسمية معروفة قبل ذلك، منذ القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي. فالمحب الطبري صاحب (القرى) ذكر دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، وقال: «دار خزيمة، كان مسكن النبي ﷺ. وولدت فيه خديجة أولادها من رسول الله ﷺ. وفيه توفيت... ويُعرف اليوم بمولد فاطمة، وهو أفضل موضع بمكة بعد المسجد الحرام»[٢٢].

كذلك الإسفراييني المكي (ت ٧٨٦هـ/١٣٨٤م) يورد في كتابه (زبدة الأعمال) ما يشير إلى تسمية الدار بدار خزيمة، كما أشار إلى حجرة قبة الوحي وحجرة مولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها، فيقول: «دار خديجة، رضي الله عنها، ويقال لها دار خزيمة، كان مسكن رسول الله ﷺ حتى هاجر، فأخذها عقيل. ثم اشتراها منه معاوية، وجعلها مسجدا يصلون فيه. وهي أفضل المواضع في مكة بعد المسجد الحرام. وفيها قبة الوحي، وفي هذه القبة حفرة عند الباب يقولون: كان يجلس النبي ﷺ، وقت نزول الوحي، وجبريل عليه السلام، يجلسون في محراب القبة. وفي بيت من بيوت هذه الدار حفرة مثل التنور، يقولون: هذه مسقط رأس فاطمة، رضي الله عنها، وقت الولادة»[٢٣].

ابن ظهيرة، في مبحث له بعنوان (ذكر الأماكن المعظمة والمشاهد المكرمة، التي تقصد زيارتها، المشهورة بالفضل بمكة)، يقول: «مولد السيدة فاطمة ابنة سيدنا رسول الله ﷺ ورضي عنها، وهو في دار أمها خديجة، رضي الله عنها، بمكة في الزقاق المعروف بزقاق الحجر... وتسمى هذه الدار جميعها بمولد فاطمة، وموضع مسقط رأسها معروف فيها... وغالب هذه الدار الآن على صفة المسجد، وبها قبة يقال لها: قبة الوحي، وإلى جنبها موضع يزوره الناس يسمى المختبأ... ودار خديجة هذه أفضل موضع بمكة بعد المسجد الحرام، قاله الطبري»[٢٤].

هكذا يستمر المؤرخون المكيون، وغيرهم من الرحالة، في تتابع وتواتر في وصف هذه الدار، ورصد التغيرات التي طرأت عليها، والإصلاحات التي جرت لها، واهتمام السلاطين والولاة بها، حتى قرون متأخرة.

فصاحب (الأرج المسكي)، في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، يُورد وصفا معماريا لدار السيدة خديجة، رضي الله عنها، يتطابق إلى حد كبير، والوصف الذي كانت عليه الدار في العصور السابقة؛ إذ يشير إلى أنها تتكون من ثلاث وحدات، يحيط بها من الخارج جدار، وقبة باب على يمين النازل منه، ثم درج تنزل إلى بطن الدار، وكان على يمين النازل ثلاثة أماكن، كل واحد منها بباب مستقل: الأول، مما يلي الدرجة على يمين الداخل، مولد فاطمة. وبجنبه بيت خديجة، وإلى جانبه قبة الوحي(٢٥).

كانت تلك الدار مكان عناية الخلفاء والولاة، عمارة وإصلاحا؛ فقد جرت لها عمارات تجديدية عدة؛ منها ماكان خلال العصر العباسي، في عهد الخليفة المقتدي بأمر الله، عبيد الله بن محمد (٤٦٧- ٤٨٧هـ/ ١٠٧٤- ١٠٩٣م). إذ جرى في عهده تجديد عمارة الدار، كما تم تشييد رواق مقدمة الدار. أشار ابن الضياء إلى أن هذه العمارة للرواق مكتوب أن المقتدر العباسي هو من أمر بعملها، ووردت في نقش تأسيسي في جدار الرواق(٢٦).

عمارة أخرى للدار جرت في عهد الخليفة الناصر العباسي (٥٧٥-٦٢٢هـ/ ١١٨٠-١٢٢٥م)، أبي العباس أحمد، سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م(٢٧). وقد وثق تاريخ تلك العمارة في نقش تأسيسي كان موضوعا في حائط الطرقة الخارجية، على يسار الداخل للدار، منقوش بخط بارز، في لوح من رخام، جاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة مربد مولد الزهراء البتول، فاطمة، سيدة نساء العالمين، بنت الرسول محمد المصطفى المختار، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، سيدنا ومولانا الإمام المفترض للطاعة على الخلق أجمعين، الناصر لدين

الله، أمير المؤمنين، أعز الله أنصاره، وضاعف اقتداره. وجعل منافعه، ومشتغلاته، وأجره عائد على مصالحه، ثم على مصالح هذا المقام الشريف المقدس الطاهر النبوي، على ما يرى الناظر المتولي له في ذلك من الحظ الوافر والمصلحة لهذا المربد والمولد المقدس المذكور بعد ذلك ابتغاء وجه الله تعالى، وطلبا لثواب الدار الآخرة. تقبل الله منه ذلك وجزاه عليه أجر المحسنين، وذلك على يد الفقير إلى رحمة الله تعالى علي بن أبي البركات الذوراني الأنباري، في سنة أربع وست مئة. ومن غيّر ذلك أو بدّله، عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين إلى يوم الدين. آمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطاهرين»[٢٨].

ذكر ابن الضياء أنه كان إلى جانب هذه الدار حوش كبير عمره الناصر العباسي، ووقفه على مصالح دار خديجة، رضي الله عنها. وأن ذلك كان موجوداً في حجر مكتوب على باب الحوش، وجاء فيه: «أن هذا الموضع مربد مولد فاطمة، رضي الله عنها»[٢٩]. وهذا يبين أن النقش خاص بعمارة المربد، الذي وقفه الخليفة الناصر، للصرف على مصالح وخدمات الدار، والمربد هو مناخ الإبل وما شاكلها كما جاء في لسان العرب مادة (ربد).

هذا ما أكده ابن فهد، في أحداث سنة ٨٣٢هـ/١٣٢٨م، إذ أشار إلى أن القاضي الشيبي قد أجّر المربد الموقوف على بيت النبي ﷺ الملاصق لقبة الوحي... وأنه كان له بواب يُعرف ببواب بيت النبي ﷺ[٣٠].

ثم توالت عمليات العمارة والتجديد للدار كاملة، أو لجزء من الوحدات الثلاث المكونة للدار. من ذلك عمارة جرت في عهد المماليك، في عهد السلطان الملك الأشرف شعبان (٧٦٤-٧٧٨هـ/١٣٦٢-١٣٧٦م)، وأخرى في سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م في عهد السلطان الملك الناصر فرج بن الظاهر[٣١] (٨٠١-٨٠٨هـ/١٣٩٨-١٤٠٥م).

أما جزء قبة الوحي، فقيل: إن القبة التي كانت عليه، هي من إنشاء الملك

المظفر الرسولي، يوسف بن عمر، صاحب اليمن (ت٦٩٦هـ/١٢٩٦م)، وجرى تجديدها في عهد السلطان المملوكي، الملك الناصر فرج، في سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م[٣٢].

في العهد العثماني جرت للدار عمليات تجديد شملت التجديد والتبييض، منها ما كان في سنة ٩٣١هـ/١٥٢٤م. حين تم هدم مولد فاطمة، رضي الله عنها، وقبة الوحي وإعادة عمارتهما[٣٣]. كما جرت عمليات تجديد مع التبييض خلال ذلك العصر، منها ما كان سنة ١٠٢٠هـ/ ١٦١١م على يد المعماري سنان باشا. وعمارة تجديدية أخرى على يد ناظر العمارة بالمسجد الحرام، الأمير رضوان أغا، سنة ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م[٣٤].

كان الرحالة أوليا جلبي، في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي، قد أورد وصفا لما كانت عليه الدار من فخامة في البناء والأثاث، وأوضح أن الدار كان لها باب من ناحية المشرق، ينزل إليها بسلالم من عشر درجات، وله قبة عالية مكونة من ثلاث قطع، مطلية بالجير الأبيض، وعمدانه نحاسية، وله فناء صغير، وجدرانه مغطاة بالقيشاني الصيني. وعلى جانب القبلة من الفناء كان هناك مسجد على صفة، له محراب. وكانت الدار مفروشة بالسجاد الحرير المطرز. وبه خزائن مغطاة بالزجاج والبلور. وكانت القباب تزين بالثريات، والقناديل، والشمعدانات[٣٥].

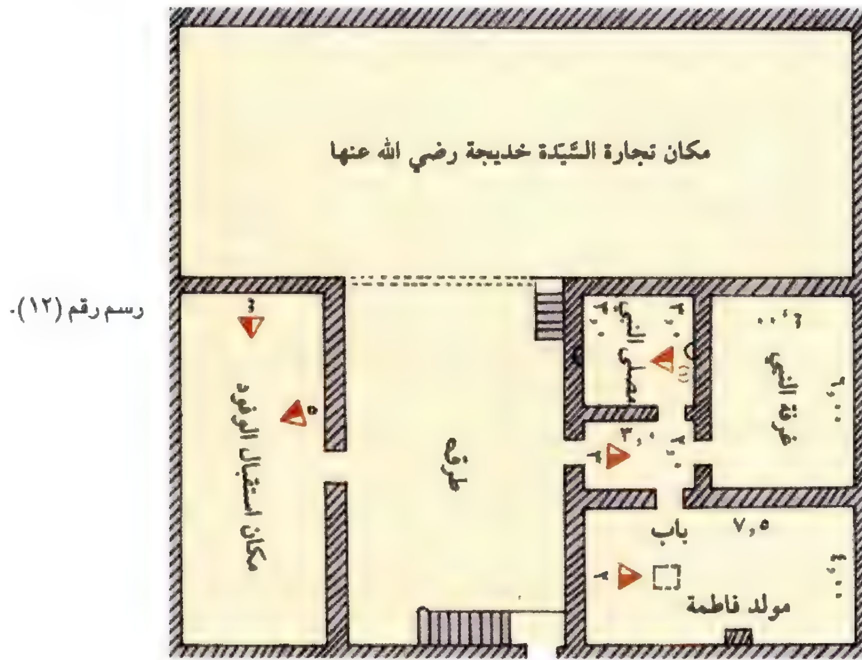
من عمليات العمارة العثمانية، عمارة جرت للدار سنة ١١٢٢هـ/ ١٧١٠م في عهد السلطان أحمد خان(١١١٥-١١٤٣هـ/١٧٠٣-١٧٣٠م)[٣٦]. وكانت العمارة التي نفذت في القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي، عمارة السلطان عبد المجيد خان العثماني (١٣٤١-١٣٤٣هـ/١٩٢٢-١٩٢٤م)، إذ يقول الصباغ: «وممن عمرها أيضا السلطان عبد المجيد وهي الآن عمار»[٣٧].

بقيت الدار على فضلها المشهور، ومعالمها المعمارية نفسها، خلال القرون اللاحقة؛ حتى إن عددا من المؤرخين المكيين أوردوا ذكر الدار في فصول من كتبهم تحت عنوان (الأماكن المأثورة)، دون أن يأتوا بما يشير إلى حدوث تغييرات

في مخطط البناء الذي احتفظت به الدار على مر العصور، وكانت الدار في غالبها على هيئة مسجد[٣٨].

في أوائل القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي ورد ذكر الدار في (سالنامة الحجاز) وأنه كان إلى جوارها دار أبي سفيان ﷺ التي أصبحت تسمى القبان، وقد جعلتها الدولة العثمانية لحكماء الصحية[٣٩].

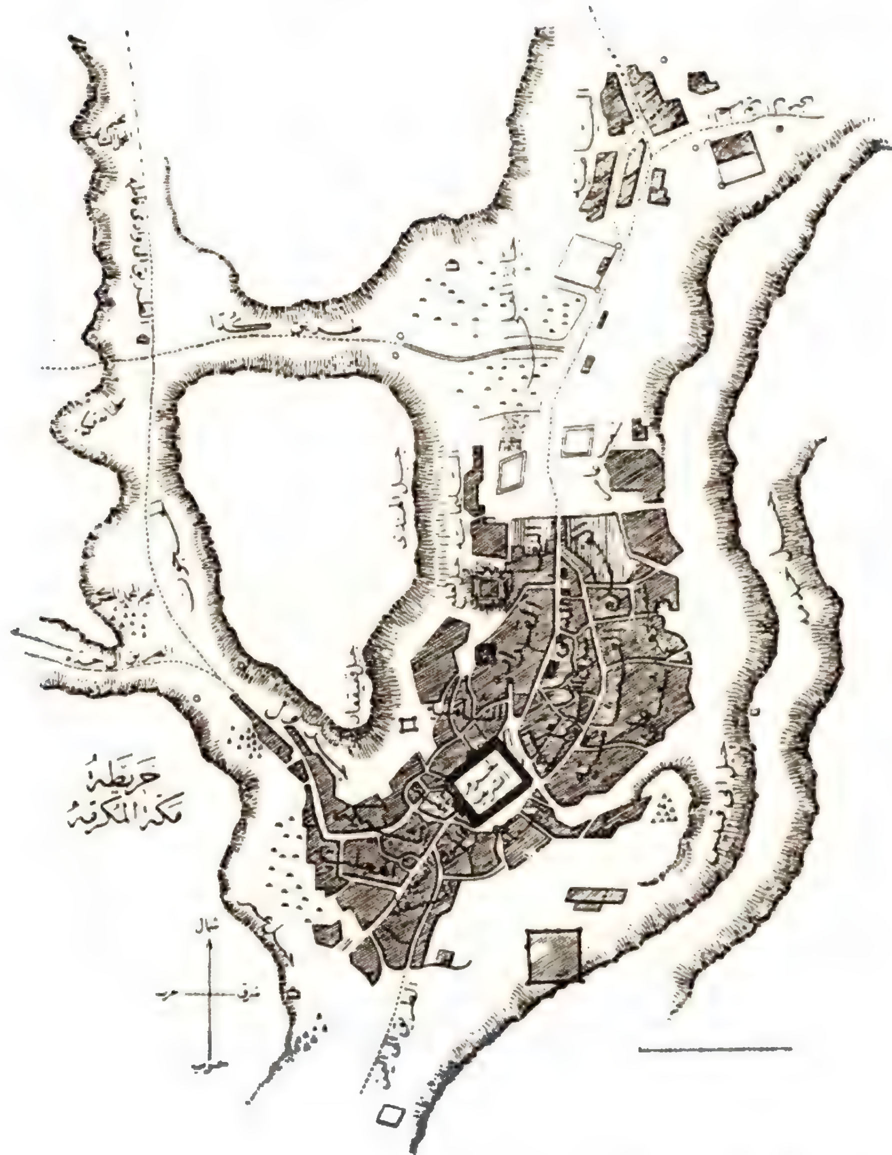
من أهم الأوصاف لدار خديجة، رضي الله عنها، خلال ذلك القرن ما أورده البتنوني، ونقله عنه صاحب (مرآة الحرمين)، الذي أكد أن وصف البتنوني هو الوصف نفسه الذي أدركه في رحلته، وشاهده، نحو سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م. البتنوني لم يكتف بالوصف بل أورد مخططا للدار، [رسم رقم ١٢] فذكر في وصفه أنها نازلة



رسم رقم (١٢).

عن الطريق، ويُنحدر إليها بعدة درجات توصل إلى طرقة، على يسارها مصطبة مرتفعة عن الأرض بنحو ٣٠سم، ومسطحها نحو ١٠م طولا في ٤م عرضا، كانت كتّابا لتعليم القرآن الكريم. وعلى يمينها باب صغير يصعد إليه بدرجتين، يدخل منه إلى طرقة ضيقة عرضها نحو مترين، وفيها ثلاثة أبواب: الذي على اليسار لغرفة صغيرة

يبلغ مسطحها ٣م طولاً وعرضها أقل من ذلك. وهذا المكان كان معدا لعبادته ﷺ، وفيه كان ينزل الوحي عليه. وعلى يمين الداخل إليه مكان منخفض عن الأرض، يقولون: إنه كان محل وضوئه ﷺ. والباب الذي في قبالة الداخل إلى الطرقة يفتح على مكان واسع يبلغ طوله نحو ٦م في عرض ٤م، وهو المكان الذي كان يسكنه ﷺ مع زوجه خديجة، رضي الله عنها. أما الباب الذي على اليمين فهو لغرفة مستطيلة عرضها نحو ٤م في طول نحو ٧م ونصف. وفي وسطها مقصورة صغيرة أقيمت على المكان الذي ولدت فيه السيدة فاطمة، رضي الله عنها. وفي جدار هذه الغرفة



خارطة رقم (٢) لمكة المكرمة التي قدمها البتنوني في كتابه.

الشرقي رف، موضوع عليه قطعة من رحى قديمة، يقولون: إنها رحى فاطمة. وعلى طول هذا المسكن، من جهة الشمال، فضاء مرتفع بنحو متر ونصف، ويبلغ طوله نحو ١٦م، وعرضه نحو ٧م؛ وهو مخزن تجارة خديجة، رضي الله عنها[٤٠].

بعد ذلك أضحى الإهمال مصير الدار، فأصبحت أثرا بعد عين. هيكل، الذي زار مكة سنة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م، وقف على المكان الذي كان يعرف بمولد النبي ﷺ، ومولد فاطمة، رضي الله عنها، قال: «فهو اليوم فضاء لا أثر فيه... ولعل أولي الأمر في الحجاز يفكرون في تعميره... »[٤١]. الأمر نفسه أكده محمد لطفي جمعة في رحلته سنة ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م إذ يقول: «ولذا قصدت دار خديجة عليها الرضوان والسلام... فلم يهمني أن أراها قطعة أرض فضاء، ما دمت أرى البقعة نفسها... ويكفيني أن تقول: هنا عاش محمد وخديجة ورزقا أولادهما جميعا»[٤٢].

في جمادى الأولى من سنة ١٣٧٠هـ/مارس ١٩٥١م تفضل جلالة الملك عبد العزيز بمنح الشيخ عباس يوسف قطان، أمين العاصمة آنذاك، الأرض البيضاء التي كانت تعرف مجازاً بدار السيدة خديجة، رضي الله عنها، لإقامة مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم على أنقاض الدار. كما تفضل الملك عبد العزيز فمنحه أيضا المكان الذي ولد فيه الرسول الأعظم ﷺ، لبناء مكتبة ضخمة، يؤمها رواد العلم وطلابه. وأقيمت المدرسة، واشتهرت بـ(مدرسة السيد عباس في دار أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها) [صورة رقم ٥][٤٣]. في هذا يقول المغربي: «إن هذا العمل العظيم، الذي قام به السيد عباس قطان، هو من الأعمال الجليلة دون شك. فعلاوة على ما بذله من المال في تشييد المكتبة والمدرسة، فإنه صان بذلك المكان الذي ولد فيه النبي ﷺ؛ كما صان المكان الذي نزل فيه القرآن على قلبه. ولست أشك أن جلالة الملك عبد العزيز (رحمه الله) كان يعرف أولا إخلاص الشيخ عباس قطان، وصفاء عقيدته. ولهذا سمح له بإقامة المدرسة والمكتبة في المكانين المشار إليهما. ولم يكن من السهل على غير الشيخ عباس قطان، في ذلك الزمن، الوصول إلى ما وصل إليه. وقد أعانه الله على ذلك...»[٤٤].

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

الصكوك الصادرة من المحاكم الشرعية

الحمد لله وحده

[illegible]

صورة رقم (٥) صك موقع دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، الذي ينص على منح الحكومة السعودية للشيخ عباس قطان الأرض التي كانت عليها الدار لإقامة مدرسة تحفيظ القرآن الكريم.

بنيت الدار (المدرسة) من ثلاثة أدوار، وخصصت لتكون مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم [صورة رقم ٦، ٧]. وتم إزالة هذا المبنى في توسعات ساحات المسجد الحرام، من الجهة الشرقية، سنة ١٤١٠ هـ/ ١٩٨٩م[٤٥]. ولقد اكتشف القائمون على المشروع، في أثناء عملية إزالة العقارات وهدمها، بعض الآثار المهمة ذات الدلالات التاريخية، والآثارية، والدينية؛ حيث وجدوا، خلال الحفريات، محرابا كبيرا باتجاه الحرم، وكان ذلك في الموقع نفسه لمدرسة السيد عباس لتحفيظ القران، في مكان بيت السيدة خديجة، رضي الله عنها، المعروف بمولد فاطمة، في زقاق الحجر، الذي كان يعرف بزقاق الصّوغ.





صورة رقم (٦، ٧) لمدرسة تحفيظ القرآن الكريم التي أقيمت فوق موقع دار السيدة خديجة، رضي الله عنها بمكة المكرمة.

هوامش الفصل الثالث:

١ **الأزرقي**، محمد بن عبد الله، **تاريخ مكة**، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، ط ٦، جـ ٢ (مكة المكرمة: مكتبة الثقافة، ١٤١٦هـ /١٩٩٦م)، ٢٧٩ – ٢٨٠.

٢ **الفاكهي**، محمد بن اسحاق، **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، ط ٤، جـ٣ (مكة المكرمة: عبد الملك بن دهيش، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣ م)، ٢٥٢ – ٢٥٣.

٣ **الأزرقي**، جـ٢، ٢٤٦.

٤ **الفاكهي**، جـ٤، ٧

٥ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **الصارم المسلول على شاتم الرسول**، جـ ٣ (الرياض: الحرس الوطني، د.ت)، ١٥٥.

٦ **الأزرقي**، جـ٢، ٢٠٠.

٧ **الأزرقي**، جـ٢، ٢٠٠.

٨ **الفاكهي**، جـ ٣، ٢٩٠.

٩ **الفاكهي**، جـ٤، ٧.

١٠**الأزرقي**، جـ٢، ٢٠٠؛ **الفاكهي**، جـ٤، ٨.

١١**الطبري**، علي بن عبد القادر، **الأرج المسكي في التاريخ المكي**، تحقيق: أشرف الجمال (مكة: المكتبة التجارية، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، ٧٠.

١٢**ابن جبير**، محمد بن أحمد، **رحلة ابن جبير**، ضبط: محمد زينهم (القاهرة: دار المعارف، د.ت)، ١٠٦.

١٣**الفاسي**، تقي الدين محمد بن أحمد، **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، جـ ١ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥م)، ٤٣٧.

١٤**الفاسي**، جـ١، ٤٣٧ –٤٣٨. حدد فاخوري الذراع الحديد المكية بـ ٥٦،٣٧ سم، وعليها تم تحديد أطوال الدار ومكوناتها بالسم. انظر: فاخوري، محمود، وخوام، صلاح الدين، **موسوعة وحدات القياس العربية والإسلامية، وما يعادلها بالمقادير الحديثة** (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠٢م) ٩٢– ٩٣.

١٥**الفاسي**، جـ١، ٤٣٧.

١٦**الفاسي**، جـ ١، ٤٣٨.

١٧**الفاسي**، جـ ١، ٤٣٧.

١٨**الفاسي**، جـ ١، ٤٣٤.

١٩**الفاسي**، جـ ١، ٤٣٧.

٢٠**الفاسي**، جـ ١، ٤٣٧.

٢١**الفاسي**، جـ ١، ٤٣٨.

٢٢**الطبري**، أحمد بن عبد الله، **القرى لقاصد أم القرى**، تحقيق: مصطفى السقا، ط ٢ (مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م) ٦٦٤.

٢٣ **الإسفراييني**، سعد الله بن عمر، **زبدة الأعمال**، تحقيق وإعداد: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى

الباز (مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٩٩٧م)، ١٥٤.

٢٤ابن ظهيرة، محمد بن محمد، **الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف**، تحقيق: علي عمر، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م)، ٢٨٦، ٢٨٧.

٢٥ الطبري، **الأرج المسكي**، ٧٠.

٢٦ الفاسي، جـ١، ٤٣٨؛ ابن الضياء، محمد بن أحمد بن محمد، **البحر العميق في مناسك المعتمر والحاج إلى بيت الله العتيق**، تحقيق: عبد الله نذير مزي، جـ ٥ (مكة المكرمة: المكتبة المكية، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م)، ٢٦٣٩.

٢٧ الفاسي، جـ١، ٤٣٨؛ ابن الضياء، جـ ٥، ٢٦٣٩.

٢٨ البتنوني، محمد لبيب، **الرحلة الحجازية**، ط ٣ (الطائف: مكتبة المعارف، د.ت)، ٥٤.

٢٩ ابن الضياء، جـ ٥، ٢٦٣٩.

٣٠ ابن فهد، نجم الدين عمر بن محمد، **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، جـ١ (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ٤٤.

٣١ الفاسي، جـ١، ٤٣٨؛ ابن الضياء، جـ ٥، ٢٦٣٩.

٣٢ الفاسي، جـ١، ٤٣٨؛ ابن الضياء، جـ٥، ٢٦٣٩؛ الحضراوي، أحمد بن محمد، **العقد الثمين في فضائل البلد الامين**، تحقيق: محمد زينهم عزب، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢١هـ٢٠٠١م)، ١١٢.

٣٣ جار الله بن فهد، محمد بن عبد العزيز، **نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى**، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، جـ ١(لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، ٣٥٥.

٣٤الطبري، **الأرج المسكي**، ٧٠.

٣٥جلبي، أوليا، **الرحلة الحجازية**، ترجمة: الصفصافي أحمد المرسي (القاهرة: دار الأفاق العربية، ١٩٩٩م)، ٢٥٧.

٣٦ الصباغ، محمد بن أحمد، **تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام**، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، جـ ١ (مكة: مكتبة الأسدي، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م)، ٥٤٨، ٥٤٩.

٣٧ الصباغ، جـ١، ٥٤٨؛ غازي، عبد الله بن محمد، **إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام مع تعليقه المسمى بإتمام الكلام**، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، جـ ٢ (مكة المكرمة: مكتبة الأسدي، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)، ٧٣.

٣٨ الأسدي، أحمد بن محمد، **إخبار الكرام بأخبار البلد الحرام**، تحقيق: الحافظ غلام مصطفى (القاهرة: دار الصحوة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ٢٢١، ٢٢٢؛ الحضراوي، ١١١.

٣٩ **سالنامة حجاز**، ط٢ (مكة المكرمة: المطبعة الأميرية، ١٣٠٣هـ) ١٤٨.

٤٠ البتنوني، ٥٣؛ رفعت، إبراهيم، **مرآة الحرمين**، جـ ١(القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م)، ١٩٠.

٤١ هيكل، محمد حسين، **في منزل الوحي**، (القاهرة،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠م)،٢٢٧.

٤٢ جمعه، محمد لطفي، **الأيام المبرورة في البقاع المقدسة**، (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٨م)، ٧٨، ٧٩.

٤٣ أبوسليمان، عبد الوهاب إبراهيم، **الأماكن المأثورة المتواترة في مكة المكرمة**، (لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)، ٢٤٩؛ مغربي، محمد علي، **أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة**، (جدة: تهامة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)،٨٥.

٤٤ مغربي، ٨٥، ٨٦.

٤٥ أبوسليمان، ١٥٤.

الفصل الرابع

دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، في كتب الرحلات إلى مكة



في ظل الأهمية التي حظيت بها دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، حرص عدد من الرحالة، الذين زاروا مكة المكرمة، على قصد الدار وزيارتها، وتقديم وصف كامل عنها، وعن كل ما يتعلق بها، بدءاً من موقعها من المسجد الحرام، مروراً بعمارتها وهيئة البناء، وتقسيم وحداتها، وما كانت تحويه من فرش وأثاث، وصولاً إلى طقوس الزيارة إليها، وما يرتبط بها من احتفالات، ومهام القائمين عليها والمكلفين بحراستها وصيانتها، إلى أن زالت معالمها لتصبح أثراً بعد عين.

هذا القسم من الدراسة يختص بتسليط الضوء على كتابات الرحالة الذين زاروا دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، واستعراض ما جاء فيها، ومقارنة ما جاء في كتاباتهم، للوقوف على أبرز المتغيرات التي طرأت على الدار عبر تاريخها. ويلاحظ على الرحالة تباين مواقفهم تجاه الدار. فمنهم من أسهب وفصل بمعلومات وافية ودقيقة. ومنهم من أوجز واختصر. ومع ذلك، فإن ما قدموه لم يخل من فائدة. في حين نجد فريقاً ثالثاً لم يتطرق لذكر الدار على الإطلاق. وهذا التباين بلا شك يعود إلى اختلاف شخصيات الرحالة، واهتماماتهم، وأهدافهم.

من المهم الإشارة إلى أن الدراسة ليست بصدد مناقشة شرعية أو عدم شرعية ما ورد في كتابات الرحالة من ممارسات وطقوس، أو معتقدات وآراء فكرية، فذلك يخرج الدراسة عن إطارها وهدفها المحدد، فما جاء في تلك الكتابات مرآة تعكس

الحالة العامة التي كان عليها المجتمع في ذلك الوقت، بالإضافة إلى أنها تعكس شخصية الرحالة، وما يتبناه من فكر ومعتقد.

أول وصف لدار السيدة خديجة، رضي الله عنها، يلحظه المتتبع في كتب الرحلات، يعود إلى أواخر القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، تحديداً عند ابن جبير. وحتى يستطيع القارئ أن يستوعب ما ذكره ابن جبير، كان لابد من العودة إلى من سبقوه في وصف الدار من المؤرخين الأوائل، مثل الأزرقي، والفاكهي، لبناء تصور عن الدار والحالة التي كانت عليها قبل ابن جبير. وبالرغم من أن المادة الواردة عند المؤرخين لا تُعنى بالملاحظات والتفاصيل التي يهتم بها الرحالة، إلا أن سياقها ضرورة لا يستقيم البحث إلا من خلالها.

يعد الأزرقي (المتوفى منتصف القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي) من أوائل المؤرخين الذين أشاروا إلى دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، وحددوا موضعها، وتحدثوا عن أهميتها التاريخية، ومكانتها، وبعض الخصائص المعمارية فيها. ذكر ذلك في باب عنون له بـ (ذكر المواضع التي يستحب فيها الصلاة بمكة وما فيها من آثار النبي ﷺ) وقال: «ومنزل خديجة ابنة خويلد، زوج النبي ﷺ، وهو البيت الذي كان يسكنه رسول الله ﷺ وخديجة، وفيه ابتنى بخديجة، وولدت فيه خديجة أولادها جميعاً، وفيه توفيت خديجة، فلم يزل النبي ﷺ ساكناً فيه حتى خرج إلى المدينة مهاجراً، فأخذه عقيل بن أبي طالب، ثم اشتراه منه معاوية، وهو خليفة، فجعله مسجداً يصلى فيه، وبناه بناءه هذا، وحدوده الحدود التي كانت لبيت خديجة لم تُغير، فيما ذكر عن من يوثق به من المكيين. وفتح معاوية فيه باباً من دار أبي سفيان بن حرب وهو قائم إلى اليوم. وهي الدار التي قال رسول الله ﷺ يوم الفتح: (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن). وهي الدار التي يقال لها اليوم: دار ريطة بنت أبي العباس أمير المؤمنين. وفي بيت خديجة هذا صفيحة من حجارة، مبني عليها في الجدر، جدر البيت الذي كان يسكنه النبي ﷺ، قد

اتخذ قدام الصفيحة مسجداً، وهذه الصفيحة مستقبلة في الجدر من الأرض قدر ما يجلس تحتها الرجل، وذرعها ذراع في ذراع وشبر. قال أبو الوليد: سألت جدي أحمد بن محمد و يوسف بن محمد بن إبراهيم، وغيرهما من أهل العلم من أهل مكة، عن هذه الصفيحة، ولم جعلت هنالك ؟ وقلت لهم، أو لبعضهم: إني أسمع الناس يقولون: إن رسول الله ﷺ كان يجلس تحت تلك الصفيحة فيستدري بها من الرمي بالحجارة إذا جاءته من دار أبي لهب، ودار عدي بن الحمراء الثقفي. فأنكروا ذلك، وقالوا: لم نسمع بهذا من ثبت. ولقد سمعنا من يذكرها من أهل العلم، فأصح ما انتهى إلينا من خبر ذلك، أن أهل مكة كانوا يتخذون في بيوتهم صفايح من حجارة تكون شبه الرفاف توضع عليها المتاع والشيء من الصيني والداجن يكون في البيت، فقلّ بيت يخلو من تلك الرفاف، قال جدي: وأنا أدركت بعض بيوت المكيين القديمة، فيها رفاف من حجارة يكون عليها بعض متاع البيت، قال: فيقولون: إن تلك الصفيحة التي في بيت خديجة من ذلك»[1].

الفاكهي (المتوفى في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي)، تطابق وصفه إلى حد بعيد مع الأزرقي، وأشار إلى الدار في ثنايا حديثه عن المواضع التي كان يستحب الصلاة فيها، أوكان بها أثر للنبي ﷺ، فقال: «ومنها بيت النبي ﷺ وهو المنزل الذي كانت تنزله خديجة بنت خويلد، رضي الله عنها، وفيه كان مسكن رسول الله ﷺ معها، وفيه ﷺ ابتنى بها، وولدت فيه خديجة، رضي الله عنها، فلم يزل رسول الله ﷺ فيه ساكناً حتى خرج ﷺ زمن الهجرة، فأخذه عقيل بن أبي طالب ﷺ فيما أخذه، فاشتراه معاوية ﷺ، وهو خليفة، فاتخذه مسجداً يصلى فيه وبناه بناءً جديداً. وحدوده الحدود التي كانت لبيت خديجة، رضي الله عنها، لم تغير، غير أن معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - لما بناه فتح باباً من دار أبي سفيان بن حرب بن أمية، فهو فيها قائم إلى اليوم، وهي الدار التي قال رسول الله ﷺ فيها يوم الفتح: (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن) وهي اليوم تعرف

برائطة بنت أبي العباس. وفي بيت خديجة حجر خارج من البيت كان سليم بن مسلم أو غيره من المكيين يقول: كان رسول الله ﷺ يجلس تحته يستتر من الرمي، إذا جاءه من دار عدي بن الحمراء، ودار أبي لهب. وذرع ذلك الحجر ذراع وشبر. فأما بعض أهل مكة فكان يقول: إن هذه الرفاف كان أهل مكة يتخذونها في بيوتهم، صفائح من حجارة يكون شبه الرفاف يضعون عليها أمتعتهم التي تكون في بيوتهم، ولكل بيت قديم من بناء المكيين إلا وفيه رفاف نحو من ذلك الحجر. والقول الأول أثبت ـ يعني ـ أصل الحديث»[٢].

ويلاحظ على كل من الأزرقي والفاكهي، بصفتهم مؤرخين، تركيزهم على الجانب التاريخي، والاهتمام بتحديد موقع الدار، مع الإشارة إلى بعض الجوانب المتعلقة بالعمارة من باب الاستدلال على خبر تاريخي، ليس أكثر.

الرحالة ابن جبير، الذي زار مكة سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م، من أوائل الرحالة الذين وصفوا دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، فمما قاله، وهو يتحدث عن المشاهد، والمزارات المطروقة في مكة على عهده: «فمن مشاهدها، التي عايناها، قبة الوحي. وهي في دار خديجة أم المؤمنين، رضي الله عنها، وبها كان ابتناء النبي ﷺ بها، وقبة صغيرة في الدار المذكورة، فيها كان مولد فاطمة الزهراء، رضي الله عنها. وفيها أيضاً ولدت سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين، رضي الله عنهما، وهذه المواضع المقدسة المذكورة مغلقة مصونة، قد بنيت بناء يليق بمثلها»[٣].

ما ذكره ابن جبير جاء في سياق حديثه ووصفه لعدد من المشاهد والمزارات في مكة المكرمة، التي كان يقصدها الناس للزيارة. منها دار السيدة خديجة، رضي الله عنها؛ مما يدل على أنها كانت ضمن منظومة أثرية، حرص الأمراء والسلاطين والحكام على رعايتها والاهتمام بها. واكتفى ابن جبير، في النص السابق، بإعطاء صورة عامة لدار السيدة خديجة، رضي الله عنها، والإشارة إلى أهم موضعين فيها،

هما: قبة الوحي، ومولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها. وسيأتي لاحقاً تفصيله لذينك الموضعين. ويستدل من كلام ابن جبير أن الدار، بما كانت تحويه من مواضع، لم تكن مشرعة طوال الوقت، وأن هناك من كان يتولى فتحها وغلقها في أوقات معينة أمام المصلين والزائرين.

فَصّل ابن جبير في وصف الدار بشكل أوضح، عقب زيارته لها في الثالث عشر من شهر ذي القعدة سنة ٥٧٩هـ / السابع والعشرين من شهر فبراير سنة ١١٨٤ م، فقال: « ودخلت أيضاً في اليوم المذكور ـ الثالث عشر من شهر ذي القعدة ٥٧٩ هـ - دار خديجة الكبرى، رضوان الله عليها، وفيها قبة الوحي، وفيها أيضاً مولد فاطمة، رضي الله عنها، لاصق بالجدار، ومسقط شلو الحسن لاصق بمسقط شلو الحسين، وعليهما حجران مائلان إلى السواد، كأنهما علامتين للمولدين المباركين الكريمين... وفي الدار المكرمة أيضاً مختبأ النبي ﷺ، شبيه القبة، وفيه مقعد في الأرض عميق، شبيه الحفرة، داخل في الجدار قليلاً، وقد خرج عليه من الجدار حجر مبسوط كأنه يظل المقعد المذكور، قيل: إنه كان الحجر الذي كان غطى النبي ﷺ عند اختبائه في الموضع المذكور، صلوات الله عليه وعلى آل بيته الطاهرين. وعلى كل واحد من هذه الموالد المذكورة قبة خشب صغيرة تصون الموضع، غير ثابتة فيه. فإذا جاء المبصر لها نحاها ولمس الموضع الكريم، وتبرك به ثم أعادها عليه»(٤).

العرض السابق لابن جبير تضمن تفصيلاً أوسع للدار، وما تحويه من مواضع، شكلت الوحدات الأساسية للدار. تلك المواضع هي: قبة الوحي، ومولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها، ومولد الحسن والحسين، رضي الله عنهما، (ويبدو أنهما كانا وحدة واحدة)، ومختبأ النبي ﷺ. وبذلك نجد ابن جبير يقسم الدار إلى ثلاث وحدات، إلا أنه لم يحدد طريقة توزيعها، وصفة بنائها، وقياس أبعادها. والاستدلال الوحيد الذي يمكن الخروج به من كلام ابن جبير، عن بعض الملاحظات العمرانية

للدار، وجود قبة كانت تغطي الموضع المعروف بقبة الوحي، كون التسمية تدل على ذلك.

وفي حديثه عن موضع مولد السيدة فاطمة، ومولد الحسن والحسين ﷺ، أشار ابن جبير إلى وجود علامات يستدل من خلالها على موضع ولادة الحسن والحسين، رضي الله عنهما، وهما في صورة حجرين متلاصقين يميلان إلى السواد. وهذه المواضع تغطيها قباب خشبية صغيرة متحركة لحفظها وصيانتها. والغريب أن يذكر ابن جبير مثل هذا الأمر، أو يروج له، لأن مولد الحسن والحسين، رضي الله عنهما، كان في المدينة المنورة، في السنتين الرابعة والخامسة من الهجرة على التوالي، وهو أمر لا يجهله شخص في مكانة ابن جبير.

عند تطرقه للمختبأ، قدم ابن جبير وصفاً دقيقاً لتفاصيل هذا الموضع، وفيه ما يتطابق مع وصف الأزرقي، فيما يتعلق بالنتوء الذي كان في الجدار، والذي أطلق عليه الأزرقي اسم (الصفيحة).

اختتم ابن جبير حديثه عن الدار بوصف الطقوس التي كان يأتي بها الزوار لتلك المواضع.

يلاحظ على ابن جبير عدم تطرقه إلى المسجد الملحق بالدار، بالرغم من قدمه، ووجود شواهد تاريخية تدل على وجود المسجد في زمن رحلته. ربما يعود السبب في ذلك إلى فصل ابن جبير بين المسجد والدار، فالدار أقدم من المسجد، وفيها المواضع المباركة، التي كان يقصدها الناس للزيارة.

ابن بطوطة، الذي جاور بمكة، وأدى فريضة الحج عدة مرات، خلال الثلث الأول من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، أشار إلى الدار ضمن حديثه عن المشاهد المعروفة في مكة المكرمة، فقال: «ومن المشاهد المقدسة، بمقربة من المسجد الحرام، قبة الوحي، وهي في دار خديجة أم المؤمنين، رضي الله

عنها، بمقربة من باب الرسول ﷺ. وفي البيت قبة صغيرة حيث ولدت فاطمة عليها السلام»[٥].

على الرغم من المدة الزمنية الطويلة التي قضاها ابن بطوطة في مكة، مقارنة بسلفه ابن جبير، وتكرار تردده عليها، وأدائه فريضة الحج عدة مرات، إلا أن ما أورده من معلومات لا يمكن مقارنتها بما ذكر ابن جبير. جاء وصف ابن بطوطة للدار بشكل مجمل دون الخوض في التفاصيل، فهو يهتم أولاً بتحديد موقع الدار من المسجد الحرام، وقربها من باب النبي ﷺ في الجهة الشرقية. ويشدد على أهمية الدار كونها أحد المعالم أو المشاهد المعروفة في مكة. ويتفق مع ابن جبير في ذكر بعض المواضع المعروفة في الدار، مثل قبة الوحي، ومولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها، دون أن يتعرض للمختبأ، أو يأتي على ذكره.

ويبدو من حديث ابن بطوطة، وسلفه ابن جبير، أن الدار كانت معروفة، في زمنهما، بقبة الوحي؛ وذلك قد يعود إلى شهرة ذلك الموضع من الدار؛ فجاء من باب إطلاق الجزء على الكل.

بعد ابن بطوطة، لم يتطرق أحد من الرحالة، الذين زاروا مكة، إلى الدار، قبل أن يأتي على ذكرها العياشي، الذي زار مكة في منتصف القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي، ولسد تلك الفجوة التاريخية التي أحدثها الرحالة في تسلسل تاريخ هذه الدار الكريمة، كان لابد من العودة إلى تقي الدين الفاسي (ت ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨ م)، أحد أبرز المؤرخين المكيين، الذي قام بتقديم وصف مهم للدار، يمكن أن يسهم في وضع تصور لما تعرضت له الدار خلال الحقبة التي فصلت بين ابن بطوطة والعياشي.

بدأ الفاسي وصفه بتحديد موضع الدار أولاً، قال: «بمكة دور مباركة معروفة عند الناس، وغالبها مساجد، ولكنها مشهورة عند الناس بالدور؛ ولذلك أفردناها

بالذكر عن المساجد. منها دار خديجة بنت خويلد أم المؤمنين، رضي الله عنها، بالزقاق المعروف بزقاق الحجر بمكة، ويقال له أيضاً زقاق العطارين، على ما ذكره الأزرقي؛ وتعرف هذه الدار بمولد فاطمة، رضي الله عنها»[٦]. ثم يذكر الفاسي أن الدار كانت قد تحولت إلى مسجد في عهد معاوية بن أبي سفيان، وظلت على تلك الحال إلى زمن الأزرقي[٧]. ويصادق الفاسي على حديث من سبقوه عن أهمية الدار، وزيارة الناس لها، إلا أن الدار، على عهده، قد اختلفت شهرتها عما كانت عليه في زمن رحلتي ابن جبير وابن بطوطة، إذ أصبحت تعرف بمولد فاطمة، رضي الله عنها.

انتقل الفاسي، عقب ذلك، إلى وصف الدار، فقال: «وغالب هذه الدار الآن على صفة المسجد، لأن فيها رواقاً فيه سبعة عقود على ثمانية أساطين. في وسط جداره القبلي ثلاثة محاريب. وفيه ست وعشرون سلسلة في صفين. وأمامه رواق فيه أربعة عقود على خمس أسطوانات، وبين هذين الرواقين صحن، والرواق الثاني أخصر من الرواق المتقدم، لأن قربه بعض المواضع التي يقصدها الناس بالزيارة في هذه الدار، وهي ثلاثة مواضع: الأول، الموضع الذي يقال له مولد فاطمة، رضي الله عنها. والثاني، الموضع الذي يقال له قبة الوحي، وهو ملاصق لمولد فاطمة. والثالث، الموضع الذي يقال له المختبأ، وهو ملاصق لقبة الوحي، زعموا أن النبي ﷺ كان يختبئ فيه من الحجارة التي كان يرميه بها المشركون، والله أعلم بحقيقة ذلك. وذرع الموضع الذي يقال له المختبأ أربعة أذرع وثلث ذراع، وذلك من الجدار الذي فيه المحراب إلى الجدار المقابل له، وهو طرف جدار قبة الوحي الغربي، هذا ذرعه طولاً. وذرعه عرضاً ثلاثة أذرع وثلثا ذراع، وذلك من الجدار الذي فيه بابه، إلى الجدار المقابل له. وذرع الموضع الذي يقال له قبة الوحي من الجدار الذي فيه بابه، إلى الجدار المقابل، ثمانية أذرع وثلثا ذراع، هذا ذرعه طولاً، وأما ذرعه عرضاً فثمانية أذرع ونصف، بذراع الحديد»[٨]. والموضع الذي يقال له

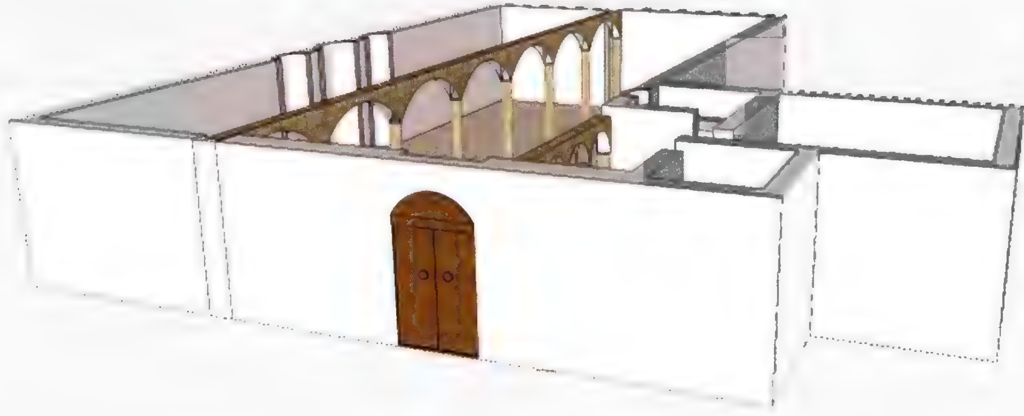
مولد فاطمة «طوله خمسة أذرع إلا ثمنا، وعرضه من وسط جداره ثلاثة أذرع وربع وثُمن، الجميع بذراع الحديد. وفي هذا الموضع موضع صغير على صفة البركة المدورة، وسعة فمها طولاً من داخل البناء المحوط عليه ذراع، وعرضها كذلك، وفي وسطها حجر أسود يقال: إنه مسقط رأسها»[٩].

واختتم الفاسي وصفه للدار بذرع المواضع المتبقية منه، المتمثلة في الأروقة، فيقول: «وذرع الرواق المقدم من هذه الدار، من وسط جداريه على الاستواء، ثمانية وثلاثون ذراعاً، هذا ذرعه طولاً، وذرعه عرضاً سبعة أذرع وربع، وذرع ما بين كل أسطوانتين منه خمسة أذرع وربع. وذرع الرواق المؤخر من هذه الدار، من جدار قبة الوحي إلى الجدار المقابل له، ثلاثة وعشرون ذراعاً، هذا ذرعه طولاً، وذرعه عرضاً عشرة أذرع»[١٠].

يتبين من العرض السابق أن الفاسي بدأ حديثه بتقديم صورة عامة عن الدار، حين ذكر بأنها كانت على هيئة مسجد، وعلل ذلك بالنمط المعماري الذي كان يُشكّل القسم القبلي للدار، وهو القسم الأكبر، الذي كان يتكون من رواقين يفصل بينهما صحن، وهي صورة كانت شائعة في بناء المساجد في تلك الحقبة؛ لذلك استحضرها الفاسي عند وصفه للدار. ويبدي الفاسي اهتمامه بذكر قياسات وأبعاد الأروقة، وما تحويه من أساطين وعقود، وما تشتمل عليه من زخارف ونقوش. وهذا القسم من الدار انفرد بذكره الفاسي، إذ لم يذكره أحد ممن سبقوه إلى وصف الدار.

أما القسم الآخر من الدار، وهو القسم الشمالي، فقد بدا التطابق، إلى حد بعيد، بين الفاسي وابن جبير في الوحدات المكونة له، المتمثلة في: قبة الوحي، ومولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها، ومختبأ النبي ﷺ، وفي احتفاظ تلك المواضع بأسمائها التي وردت بها عند ابن جبير؛ إلا أن الفاسي لم يجار ابن جبير في

الحديث عن موضع مولد الحسن والحسين، رضي الله عنهما. وتميز الفاسي على ابن جبير، وغيره من الرحالة الذين سبقوه، بقياس أبعاد تلك المواضع، وما تحويه من علامات مهمة، وطريقة توزيعها في الدار، الأمر الذي يُمكّن الباحث من وضع تصور للدار والهيئة التي كانت عليها زمن الفاسي. [رسم رقم١٣]



رسم رقم (١٣) تخيلي ثلاثي الأبعاد لدار السيدة خديجة، والمسجد، ومدخل الدار.

العياشي كانت رحلته إلى مكة المكرمة سنة ١٠٥٩هـ/١٦٤٨م، وكانت المواضع المعروفة بـ(الموالد)، منها مولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها، أو دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، من بين اهتماماته، فقال: «ومما زرناه أيضاً مولد فاطمة، رضي الله عنها، في دار خديجة، رضي الله عنها، والتعيين أميل إلى صحة هذا المكان أكثر من غيره»(١١).

بالرغم من تشكيك العياشي في نسبة بعض (الموالد) إلى أصحابها، إلا أنه يرى أن هذا الموضع يكاد يكون أكثر الأماكن دقة في من نسبت إليه، مقارنة بغيرها من أماكن الزيارة. ويظهر من النص السابق أن الدار ظلت محتفظة باسم (مولد السيدة فاطمة)، وهو الاسم الذي أصبح ملازماً لها، كما سنرى ذلك لاحقاً عند بقية الرحالة.

العياشي، بعد حصره للأماكن التي وقف على زيارتها في مكة المكرمة، بما فيها دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، علق قائلاً: « وغالب هذه الأمكنة اتخذت مساجد ومزارات... وكثير من هذه الآثار الشريفة والمشاهد المنيفة قد تطاولت عليها الأعصار، ووجد التنصيص على اشتهاره في القرن الأول والثاني وما بقربهما، فتزار بالنية المتقدمة، وبنية بركة من دخلها وتبرك بها من المسلمين من لدن تلك الأعصار إلى الآن»(١٢).

الحديث السابق للعياشي يؤكد أهمية تلك المواضع أو الدور التي تحولت إلى مساجد ومزارات منذ القرن الأول الهجري / السابع الميلادي.

الرحالة أوليا جلبي، الذي زار مكة المكرمة سنة ١٠٨٢هـ/ ١٦٧١م، أولى اهتماماً مميزاً بوصف دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، وانفرد بمعلومات دقيقة، لم ترد عند غيره من الرحالة. فوصفها قائلاً: «... قبة عالية مكونة من ثلاث قطع، وله باب مكشوف من ناحية المشرق، وينزل من هذا الباب بسلالم مكونة من عشر درجات إلى الداخل، قبابه مطلية بالجير الأبيض، وله أعلام، خاصة به، خضراء اللون، وعمدانها نحاسية. له فناء صغير، وعلى جانب القبلة من هذا الفناء، يوجد مسجد على صُفة، له محراب من الأشغال القديمة. وهذا المسجد أيضاً مطلي بالجير، وليست له منارة. وتحت إحدى القباب العالية كان كل من حضرة الإمام الحسن والإمام الحسين يتلون القرآن الكريم تحتها، والرحلات التي كانا يستخدمانها ما زالت هنا، ويقولون: إنها تلك، كانا يستخدمانها في ذلك الزمان. وهذه القبة مفروشة بالسجاد الحريري المختلف، وهذه القبة المتصلة ببيت حضرة السيدة فاطمة، قبة مزخرفة بديعة النقش، وهي أوسع تلك القباب، وهي أيضاً مفروشة بالسجاد الحريري المطرز القيم، ومن خيرات المرحوم السلطان قايا، وليست بها نوافذ على الجانب الخفيض. وكل الجوانب الأربعة مكسوة ومغطاة بالقيشاني الصيني. وبخزائن الكتب الموجودة أجزاء ونسخ مختلفة من المصحف

الشريف. وهذه الخزائن كلها مغطاة بالزجاج والبلور، والنجف المختلف النقوش، والأنواع. ولهذه القبة العالية، وترتفع حتى منتصفها قبة المنبر، وهي قبة صغيرة حادة، مكسوة بالكامل بالنقوش والزينة. وتزدان هذه القباب بشتى أنواع الثريات، والقناديل، والشمعدانات، والمعلقات التي تزينها»[١٣].

بدأ الجلبي وصفه للدار من الخارج، فذكر بأن ثلاث قباب كانت تغطي الدار من الخارج، وتلك القباب كانت قد طليت باللون الأبيض، وعليها أعلام خضر على أعمدة نحاسية.

ثم انتقل إلى وصف مدخل الدار، فذكر أن لها باباً مكشوفاً باتجاه الشرق، وهو أول من أشار إلى انخفاض الدار عن مستوى الأرض، حين ذكر أن الدخول إلى الدار يكون بالنزول إليها من خلال عشر درجات. وليس هناك في المصادر ما يشير إلى تحديد الزمن الذي انخفضت فيه الدار عن مستوى سطح الأرض بذلك القدر؛ إلا أنه من المرجح أن ذلك كان في أواخر القرن العاشر أو أوائل القرن الحادي عشر الهجريين / السادس عشر والسابع عشر الميلاديين.

أما الوصف الداخلي للدار وما كانت تحويه، فقد ذكر الجلبي أن أول ما يقابل الهابط إلى الدار فناء صغير، على يساره مسجد له محراب واحد، من الأشغال القديمة. وهو بذلك يخالف وصف الفاسي الذي ذكر أن المسجد الذي كان في قبلة الدار، وأشار إليه بالرواق المقدم، كانت له ثلاثة محاريب. ولم يذكر الجلبي مساحة المسجد وأبعاده، إلا أنه تحدث عن طلائه بالجير، ولاحظ عدم وجود منارة له. ومن المواضع التي أشار إليها الجلبي داخل الدار، موضع ذكر بأنه كان مجلساً للحسن والحسين يقرآن فيه القرآن، وفي ذلك الموضع بقايا من آثار أغراض كانت تخصهما. وهذا الموضع متصل بمولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها. والموضعان تغطيهما أكبر القباب الثلاث التي تغطي الدار. ولم يتطرق الجلبي إلى المواضع

الأخرى التي سبق أن أشار إليها غيره من الرحالة مثل: قبة الوحي، والمختبأ. الأمر الذي لا يمكن القارئ من تصور حالة الدار من الداخل، خلال العهد الذي كتب فيه الجلبي (رحلته).

من الجوانب التي أبرزها جلبي، في مشاهداته، ما كانت تحويه الدار من فرش ومتاع وأثاث قيّم، ممثلة في نجف، وقناديل، وشمعدانات، وسجاجيد، وسُتر، وغير ذلك من المقتنيات الثمينة، التي يبدو أنها كانت محصلة هدايا، وهبات، أهديت للدار من الملوك، والأمراء، والسلاطين.

من الأمور اللافتة في وصف جلبي للدار، احتواؤها على مجموعة من المصاحف كانت محفوظة بعناية في خزائن مغلقة بأبواب زجاجية، كانت موزعة في نواح مختلفة من الدار.

بصورة عامة، وضح أن الدار قد تغير الكثير من معالمها التي كانت عليها زمن الفاسي. ومن أبرز المتغيرات الملموسة، من خلال وصف الجلبي، انخفاض مستوى الدار عن مستوى سطح الأرض، وإحداث درج للنزول إليها، وزيادة مساحة مولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها.

لم ينس الجلبي أن يصور بعض مراسم الاحتفال والطقوس التي كان يأتي بها بعض الناس عند الدار، في أوقات ومواسم محددة، يقول: «وفي كل ليلة جمعة فإن أهل مكة، وأصحاب السلوك من المشايخ والمتصوفة يأتون إليها، ويقيمون الليلة في التلاوة، والذكر والتوحيد، وفي كل سنة يحتفلون بمولد السيدة فاطمة.. وخلاصة الكلام: فالمكان مكان زيارة للخاص والعام.. وهو قريب من منزل والدة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام»[١٤].

سنة ١٢٢٩ هـ / ١٨١٤ م، زار مكة المكرمة الرحالة السويسري، جون لودفيج بركهارت Burckhardt، وذلك في أعقاب خروج السعوديين من مكة المكرمة،

على يد القوات المصرية التي أرسلها محمد علي باشا، بأمر من الأستانة. وقد أشار بركهارت إلى دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، في موضعين مختلفين من مدونات (رحلته): حدد في الأول موضع الدار، وهو يتحدث عن أحياء مكة وشوارعها وأسواقها، فقال: «إلى الجنوب من هذا الحي [يقصد حي المدعى] يقع زقاق الحجر، ويدعى أيضاً زقاق المرفق، الذي يحتوي على مكان ولادة فاطمة، ابنة محمد ﷺ »(١٥).

وعاد بركهارت وأشار إلى الدار في سياق حديثه عن أماكن الزيارة في مكة المكرمة، فقال:«مولد ستنا فاطمة، أو مكان ولادة فاطمة، ابنة محمد ﷺ، وهو مبنى حجري جميل، يقال: إنه كان منزل أمها خديجة، رضي الله عنها، ويقع في الشارع المدعو زقاق الحجر، وهناك درج يؤدي إلى أرض هذا المبنى، الذي ينخفض، مثل المبنى السابق [يقصد مولد النبي ﷺ] عن الشارع بدرجات»(١٦).

وفي وصفه للدار قال بركهارت: «ويتضمن هذا الصرح الصغير مكانين مقدسين: في واحدة منهما حفرة مشابهة لتلك التي في مولد النبي ﷺ، لتحدد المكان الذي ولدت عليه فاطمة، رضي الله عنها. وبالقرب منها حفرة أخرى أقل عمقاً، حيث يقال: إنها كانت تدير طاحونتها اليدوية، أو الرحى، بعد أن كبرت. وفي شقة بالقرب منها تظهر حجيرة ضيقة، حيث كان يجلس محمد ﷺ، ويتلقى من الملاك جبرائيل سور القرآن الآتية من السماء، ويدعى هذا المكان قُبَّة الوحي»(١٧).

حرص بركهارت، أولاً، على تحديد موضع الدار، وهو يتفق في ذلك مع من سبقوه، بل إن الإضافة التي سجلها بركهارت في هذا الجانب هو رسمه لخارطة توضيحية لمكة المكرمة، لما كانت عليه في زمنه، يظهر فيها موضع الدار التي أصبحت تعرف، حينذاك، بمولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها. [خارطة رقم٣]



خارطة رقم (٣) بركهارت لمكة المكرمة ويظهر فيها موضع دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، باللون الأحمر رقم (٣٢).

شرح مخطط مكة		
١- حي جرول	٢- حي الباب	٣-حي شبيكة
٤- الجندرية (حي)	٥- حي الحجلة	٦- منزل للشريف
٧- الحي المدعو (سوق الصغير)	٨- الحي المدعو (المسفلة)	٩- حي باب العمرة
١٠- حي الشامية	١١- حي السويقة	١٢- حي قرارة
١٣- منزل عائلة جيلاني	١٤- حي شبه مهدم يسكنه الفقراء	١٥- حي ركوبة
١٦- وادي النقا	١٧- قصر الشريف الرئيسي	١٨- حي السليمانية
١٩- حي شعب عامر	٢٠- شارع الحدادين	٢١- حي المعلا
٢٢- مسجد صغير	٢٣- حي المعابدة	٢٤- حي غزة
٢٥- حي شعب المولد	٢٦- حي سوق الليل	٢٧- حي المدعى
٢٨- متجران للحنطة	٢٩- المروة	٣٠- المسعى
٣١- حي زقاق الحجر	٣٢- مولد ستنا فاطمة	٣٣- درب العيني
٣٤- حي القشاشية	٣٥- حي شعب علي	٣٦- الصفا
٣٧- منزلان للشريف	٣٨- آبار للمياه المالحة في أجزاء من المدينة	٣٩- حي أجياد
٤٠- أكواخ يسكنها عبيد الشريف	٤١- قصر الشريف ويدعى بيت السعادة	٤٢- القلعة الكبرى
٤٣- حي مهدّم	٤٤- خان مهدّم للحجاج اليمنيين	٤٥- بركة معجن خزان للحجاج اليمنيين
٤٦- بعض الحقول المزروعة	٤٧- بركة الشامي	٤٨- بركة المصري
٤٩- حقول مزروعة	٥٠- منزل للشريف	٥١- مقام أبي طالب
٥٢- خزان ماء كبير ملوء من مياه القناة	٥٣- طرق معبدة تؤدي إلى شيخ محمود	٥٤- شيخ محمود عند موضع تخييم القافلة السورية
٥٥- قبر خديجة زوجة محمدﷺ	٥٦- قصر كبير للشريف يستعمل كثكنة	٥٧- ضاحية تدعى معابدة
٥٨- سبيل عام من مياه القناة	٥٩- منزل صيفي للشريف مع حديقة	٦٠- بئر
٦١- المسجد الكبير «الحرم»	٦٢- منزل القاضي ملحق بالمسجد	٦٣- قبر سيد عجيل. تاجر كبير. ملحق بالمسجد
٦٤- مساكن كانت تخص أصلا مدرسة حكومية، حيث يسكن الباشاوات القادمون إلى مكة	٦٥- جبل هندي	٦٦- الجبل المدعو جبل لعلع أو قيقعان
٦٧- جبل أبي قبيس	٦٨- أعلى قمم جبال مكة وتدعى خندمة	٦٩- جبل عُمر أ- أبراج مراقبة مستديرة في أجزاء مختلفة. ب- حمامات في أحياء مختلفة ج- مقابر تدعي الأولى شبيكة والأخرى المعلاة. د- مخيمات صغيرة للبدو هـ-سبل ماء من مياه القناة

جدول خريطة بركهارت لمكة المكرمة.

أما في وصف الدار، والمواضع التي فيها، فقد اكتفى بركهارت بالإشارة إلى موضعين فقط، هما: مولد السيدة فاطمة، وقبة الوحي. ويلاحظ أن قبة الوحي التي أشار إليه بركهارت ليست هي ذاتها المذكورة عند الفاسي. فقد قال بركهارت بأنها حجيرة صغيرة، في حين أن قبة الوحي المذكورة عند الفاسي تشكل أكبر قاعات الدار. ويبدو أن التغيير الذي طرأ على أسماء المواضع في دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، قد سبق بركهارت بوقت طويل، فقد ذكر الطبري، صاحب (الأرج المسكي)، في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي، ما يفيد بذلك، عند وصفه للدار، حين قال: «وكان على يمين النازل [أي إلى صحن الدار] ثلاثة أماكن، كل واحد منها بباب مستقل. الأول، مما يلي الدرجة على يمين الداخل مولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها. وبجنبه بيت خديجة، رضي الله عنها، وإلى جانبه قبة الوحي»(١٨). وبمطابقة الترتيب الذي أورده الطبري مع ما ذكره الفاسي نجد أن مولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها، ظل محتفظاً بهيئته اسماً وموضعاً. أما قبة الوحي، التي ذكرها الفاسي، فقد أصبحت عند الطبري تعرف ببيت خديجة، رضي الله عنها. وأما المختبأ فلم يكن له ذكر عند الطبري إذ كان قد أصبح معروفاً بقبة الوحي.

من الملاحظات التي سجلها بركهارت في حجرة مولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها، ذلك التجويف الموجود فيها، والذي يدل على موضع مولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها، إضافة إلى تجويف آخر أصغر من الأول في الحجرة نفسها، يقال بأنه مكان الرحى الخاصة بالسيدة فاطمة، رضي الله عنها.

أما محتويات الدار من فرش، ومتاع، وأثاث، وحلي، وكتب، التي جاءت ضمن ما وصفه أوليا جلبي، فلم يذكر بركهارت منها شيئا؛ فلا يعلم مصيرها.

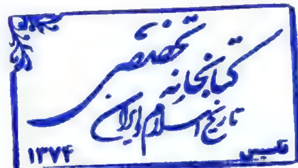
الرحالة الإنجليزي بيرتون Burton، وصف بيت السيدة خديجة، رضي الله

عنها، خلال المدة التي أمضاها في مكة المكرمة، سنة ١٢٦٩هـ / ١٨٥٣م، فقال: «ووجدنا بعض الصعوبة في حث حميرنا على المسير في زقاق الحجر المزدحم، وسرعان ما وصلنا لبيت النبي ﷺ الذي عاش فيه مع السيدة خديجة، رضي الله عنها. وهنا - كما يقول بركهارت -رأت فاطمة الزهراء النور لأول مرة، وهنا، وفقاً لما يقوله ابن جبير، ولد الحسن والحسين، رضي الله عنهما. ونزلنا عن الحمير عند المدخل، وهبطنا سلماً عميقة لنجد أنفسنا في صالة رحبة مقنطرة، ذات منظر أفضل بكثير من سائر مزارات مكة. وفي الوسط يوجد مختلى يتخذ شكل الخيمة، مغطى بقماش أخضر مذهب ثمين، ويحرس الباب بواب صارم لم يفلح بعض الزوار المحترمين بكلماتهم الرقيقة في جعله يفتح لهم؛ لكن كلمات هامسة من عبدالله [مرافق بيرتون] حلت المشكلة. وقد جعلوني أنبطح انبطاحاً كاملاً على بطني، لأقبل حجراً أسود، يقال: إنه يمثل الشق الأسفل لمطحنة السيدة فاطمة، رضي الله عنها، وهو مثبت في بطن حوض من المادة نفسها»(١٩).

من أهم الملاحظات التي سجلها بيرتون، في وصفه السابق، إشارته إلى بعض السمات المعمارية التي كانت في بعض المواضع من الدار، مثل وجود العقود، أو القناطر، في رحبة الدار، أو الصحن. كذلك حديثه عن الخيمة التي كانت تغطي المنطقة التي تضم أماكن الزيارة، والتي يبدو أنها قد حلّت محل القباب التي هدمت.

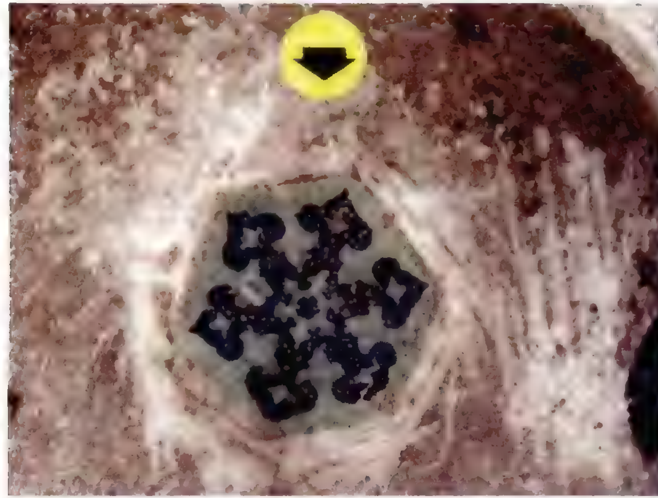
وعن طقوس الزيارة، فقد أشار بيرتون إلى شيء منها، خاصة في قاعة مولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها. واللافت في حديثه إشارته إلى الشخص الذي كان مكلفاً بحراسة المكان، وكان يقوم بتنظيم الزائرين، وهو أمر لم نعهده عند الرحالة السابقين.

وعند مقارنته بين دار السيدة خديجة وبقية المزارات، نجد بيرتون يعتبرها الأميز بينهم.



في بدايات القرن الرابع عشر الهجري /أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، أسهم الرحالة التركي أيوب صبري باشا (ت ١٣٠٨ هـ / ١٨٩٠ م)، بتقديم وصف لدار السيدة خديجة، رضي الله عنها. فبدأ حديثه عن أهمية الدار من واقع أنها معلم وأثر تاريخي، ثم حدد موقعها. وانتقل بعد ذلك للحديث عن تاريخ الدار، وما تعرضت له من أعمال بناء، وتوسعة، وإصلاح، وترميم، خلال عصور متباعدة[٢٠]. ثم عرج إلى وصف الدار قائلاً: «كان داخل القبة، التي أقامها السلطان سليمان في سنة ٩٥٣هـ (١٤٤) قدماً مربعاً، وكانت كل جهة، من جهاتها الأربع، اثني عشر قدماً. وولدت سيدة النساء فاطمة الزهراء، رضي الله عنها، في الحجرة المنيرة التي تقع في الجهة اليمنى من الدار السعيدة. ولأن مولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها، كان في تلك الحجرة المتصله بالجهة اليمنى من هذا البيت المسعود، فقد عين موضع مولدها، في وسط هذه الحجرة، بحجر أبيض مستدير ناقص الشكل، ووضع في كوخ مكتس بالخضرة. إنه موضع مبارك، تحت قبتين جميلتين في تلك الحجرة العريقة. وطول هذا الموضع من الشمال إلى الجنوب ثمانية أقدام، ومن الشرق إلى الغرب خمسة عشر قدماً. وقد حمي الكوخ الذي بني لمشاهدة الموضع المنير، الذي ولدت فيه السيدة فاطمة، رضي الله عنها، بما يقرب من ٣٥٧ عاماً، وذلك بفضل الإصلاحات والترميمات الجزئية التي كانت تجري من آن لآخر. وبالرغم من ذلك تخربت تلك الترميمات، وبات من اللازم هدمها كلها، حتى إن جدران بيت خديجة، رضي الله عنها، أصبحت محتاجة إلى الترميم والاصلاح. وفي عام ١٢٩٦هـ حول أحمد أفندي، مدير المسجد الحرام، الكوخ المذكور إلى شبك مصنوع من خشب الساج، وأصلح ما مست الحاجة فيه إلى الإصلاح من جدرانه المسقوفة، ووضع صندوقاً فوق الحجر الأبيض الذي يشير إلى موضع مولدها، وغطاء يستر المكان من الحرير المزركش. وأمام الكوخ المذكور جدار باهر الأنوار يرتفع بمقدار ذراع، ويتصل هذا الجدار من جهة الجنوب

بصُفّة، يعلو هذه الصفة حجر مدور يميل لونه إلى السواد، يقول بعض أهالي مكة المكرمة: إن هذا الحجر هو الرّحى التي كانت السيدة خديجة، رضي الله عنها، تطحن بها القمح. ويتصل بالجدار الشمالي للمسجد الشريف [يقصد المسجد الموجود في الدار] حجرة مقدسة كذلك، ولما بات من المعلوم - من خلال آثار موثوقة الدلالة - أن هذه الحجرة كانت خاصة بعبادات النبي ﷺ وطاعاته، أشير إلى موضع سجوده ﷺ بحجر من الماس، مسدس الشكل، قطره كقطر إصبع اليد، ووضع هذا الحجر وسط المحراب وهو ما يظهر في الصورة التالية»(٢١). [صورة رقم ٨]



صورة رقم (٨).

أول ما بدأ بوصفه أيوب صبري، من الدار، القبة التي أنشأها، أو ربما جددها، السلطان سليمان القانوني، والتي يبدو أنها كانت تغطي الجزء الأكبر من دار السيدة خديجة، رضي الله عنها.

من الداخل، اكتفى أيوب صبري بوصف موضعين من المواضع المشهورة في الدار، هما: مولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها، والمختبأ الذي تحول اسمه، بعد الفاسي بزمن، إلى قبة الوحي. أما مولد فاطمة، رضي الله عنها، فيبدو من

وصف أيوب صبري أن حجرة المولد قد تغيرت قياساتها، عما كانت عليه زمن الفاسي. ويسهب صبري باشا في ذكر تفاصيل هذا الموضع، بما يتوافق، إلى حد بعيد، مع وصف الرحالة الذين سبقوه؛ إلا أنه يخالفهم في الرحى الموجودة في هذه الحجرة حين ينسبها إلى السيدة خديجة، بدلاً من السيدة فاطمة، رضي الله عنهما. وفيما يتعلق بحجرة المختبأ، فقد وصفها بأنها موضع تعبد النبي ﷺ، إلا أنه لم يُقدّر مساحتها، كما هو الحال للمولد، واكتفى بما حصل من تعيين لموضع سجود النبي ﷺ بحجر من الماس، دلالة على موضع السجود الشريف.

ومن الإشارات، التي لفت إليها أيوب صبري النظر، تداعي بناء الدار، وحاجته إلى الترميم للحفاظ عليه. أما الإشارة الثانية فهي إصلاح شيخ الحرم المكي لبعض القباب المتحركة التي كانت تغطي موضع مولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها. الأمر الذي ربما يشير إلى إدراج دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، وغيرها من المنشآت الدينية، إلى إشراف مشيخة الحرم في ذلك الوقت.

الرحالة الهولندي سنوك هورخرونيه Snouk، في زيارته إلى الدار سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، لم يضف شيئاً على سابقيه؛ إلا أنه أبدى بعض الملاحظات المتعلقة بتدني مستوى البيت عن مستوى سطح الأرض، بسبب السيول التي كانت تتعرض لها مكة من وقت لآخر، يقول سنوك: «إن بيت النبي ﷺ، وحانوت أبي بكر الصديق ﵁، كلا الاثنين في زقاق الحجر. وكذلك مولد الرسول ﷺ، ومكان مولد علي بن أبي طالب ﵁، الاثنان في شعب بني هاشم، وأماكن أخرى يقوم الناس بزيارتها، جميعها تبدو الآن، [١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م]، وكأنها تقع تحت سطح الأرض، وسبب ذلك أن أرض المدينة المقدسة ترتفع تدريجياً، نتيجة الطين الذي يحمله السيل»[٢٢].

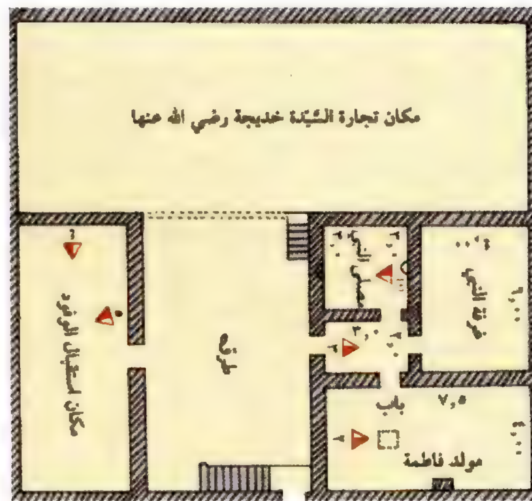
يشير سنوك إلى أن زيارة بيت السيدة خديجة، رضي الله عنها، كونها واحدة من المزارات المهمة، كانت تقتضي تقديم بعض الرسوم للقائمين عليها، وهو أول

الرحالة الذين أشاروا إلى مثل هذا الأمر، يقول: «وخارج المسجد هناك العديد من الأماكن التي لا يدخل المرء إليها إلا بدفع هدية أو مبلغ من المال، منها دار السيدة خديجة، الدار التي ولدت فيها فاطمة، حيث عاش الرسول ﷺ، مع زوجته خديجة في هذه الدار لعدة سنوات. ويوجد حجر مجوف يقبّله الناس، اعتقاداً منهم أنه المكان الذي ولدت فيه السيدة فاطمة الزهراء»[٢٣].

سنة ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م، زار البتنوني الحجاز لأداء مناسك الحج، وزيارة المواضع والمعالم المأثورة في مكة، منها دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، التي وصفها قائلاً: «ويوجد بمكة وخارجها مزارات كثيرة، منها مولد النبي ﷺ، ومولد علي، ومولد فاطمة، ودار الخيزران... أما مولد السيدة فاطمة ففي درب الحجر. وهو دار خديجة بنت خويلد، زوج رسول الله ﷺ. وفيها ولدت جميع أولادها منه... وهذه الدار قد ارتفع الطريق عنها أيضاً، فينزل إليها بجملة درجات توصل إلى طرقة، على يسارها شبه مصطبة مرتفعة عن الأرض بنحو ثلاثين سنتيمتراً، ومسطحها نحو عشرة أمتار طولاً في أربعة عرضاً. وفيها كُتَّاب يقرأ فيه الصبيان القرآن الشريف. وعلى يمينها باب صغير يصعد إليه بدرجتين، يدخل منه إلى طرقة ضيقة، عرضها نحو مترين، وفيها ثلاثة أبواب: الذي على اليسار لغرفة صغيرة يبلغ مسطحها ثلاثة أمتار طولاً في أقل منها عرضاً، وهذا المكان كان معداً لعبادته ﷺ، وفيه كان ينزل الوحي عليه. وعلى يمين الداخل إليه مكان منخفض عن الأرض، يقولون: إنه كان محل وضوئه عليه الصلاة والسلام. والباب الذي في قبالة الداخل إلى الطرقة يفتح على مكان واسع، يبلغ طوله نحو ستة أمتار في عرض أربعة، وهو المكان الذي كان يسكنه ﷺ مع زوجته خديجة، رضي الله عنها. أما الباب الذي على اليمين فهو لغرفة مستطيلة عرضها نحو أربعة أمتار في طول نحو سبعة أمتار ونصف، وفي وسطها مقصورة صغيرة أقيمت على المكان الذي ولدت فيه السيدة فاطمة، رضي الله عنها، وفي جدار هذه الغرفة الشرقي رف موضوع عليه قطعة من رحى قديمة

يقولون: إنها من رحى السيدة فاطمة التي كانت تستعملها في حياتها. وعلى طول هذا المسكن، والطرقة الخارجة، والمصطبة من جهة الشمال، فضاء مرتفع بنحو متر ونصف، يبلغ طوله نحو ستة عشر متراً وعرضه نحو سبعة أمتار، وأظن أنه المكان الذي كانت السيدة خديجة تخزن فيه تجارتها. وهذه الدار التي كانت مقراً له ﷺ ومحل إقامته في مكة ومبعثه إلى الخلق كافة، إذا أنعمت بها نظرك، وأمعنت فيها فكرك، لا تراها إلا البساطة بنفسها: دار تحتوي على أربع غرف، ثلاث داخلية: منها واحدة لبناته، والثانية له ولزوجه، والثالثة له ولربه، والرابعة بمعزل عنها له ولعموم الناس»[٢٤].

الوصف السابق للبتنوني، يحمل في طياته أهمية كبيرة، كونه من الشخصيات التي حظيت بوصف الدار قبل طمس معالمها؛ ولما يبرزه من المتغيرات التي تعرضت لها الدار، وما وصلت إليه في عهده. وينم الوصف الذي قدمه البتنوني عن امتلاكه لأدوات الرحالة القادر على نقل الصورة بكل تفاصيلها، لتكون شاهداً حياً ملموساً أمام القارئ. فهو أحد الرحالة القلائل الذين وصفوا دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، بتلك الصورة الدقيقة. ومن أهم ما يميز البتنوني، عن سابقيه، الرسم التوضيحي الذي أرفقه للدار، والذي أسهم كثيراً في تقريب الصورة إلى القارئ. [رسم رقم ١٤]



رسم رقم (١٤).

يلاحظ من الرسم السابق أن المصطبة التي على يسار الداخل إلى المنزل والمشار إليها بـ(مكان استقبال الوفود) تقابل ما يعرف بالرُّواق المُقدّم عند الفاسي، مع اختلاف قياس الطول الذي تقلص إلى النصف تقريباً عما ذكره الفاسي، ولا نعلم من أين جاء البتنوني بتلك التسمية ؟، والمعروف أن استقبال النبي ﷺ للوفود كان في المدينة.

أما الطُّرْقة الواردة في الرسم السابق، فيبدو أنها تقابل ما يعرف بـ(الصحن) عند الفاسي، والذي كان يقع بين الرواقين، إضافة إلى جزء من الرُّواق المؤخّر.

وظلت غرفة مولد فاطمة، رضي الله عنها، في موضعها، إلا أن مساحتها تضاعفت بما يقارب أربعة أضعاف ما كانت عليه عند الفاسي. ويلاحظ أن الزيادة في غرفة المولد كانت من الجهتين الشمالية والجنوبية؛ لذلك أخذت ذلك الشكل المستطيل. وتقابل غرفة النبي ﷺ عند البتنوني، ما يعرف بـ (قبة الوحي) عند الفاسي.

أما الغرفة الأخيرة المشار إليها بغرفة مصلى النبي ﷺ عند البتنوني، فهي تقابل الموضع المعروف بـ (المختبأ) عند الفاسي. ويشير البتنوني إلى أن في جانب من هذه الغرفة يوجد موضع وضوء الرسول ﷺ، وهو مالم نجده عند غيره.

ويضيف البتنوني إلى الدار موضعاً جديداً، لم يذكره أحد ممن وصفوا الدار قبله؛ وأطلق على ذلك الموضع (مكان تجارة السيدة خديجة رضي الله عنها) كما يظهر في الرسم السابق.

إبراهيم رفعت باشا، الذي أدى مناسك الحج عدة مرات، في أوائل القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي، اكتفى بنقل ما ذكره البتنوني، وأقرّه على وصفه مُعلقاً: « وهو ما شاهدناه»[٢٥].

واستعرض إبراهيم رفعت أقوال عدد من المؤرخين المكيين الذين تناولوا وصف البيت في مصادرهم: مثل الأزرقي، والفاسي. وعلق على وصف الفاسي

قائلاً: «وهو مخالف للشكل الذي نراها عليه الآن»[٢٦]. وهو أمر منطقي ومقبول في ظل ما تعرضت له الدار من عمليات هدم وإعمار وإصلاح في المدة الزمنية التي تفصل بين الفاسي وإبراهيم رفعت.

يُعد إلدون رتر Eldon Rutter آخر الرحالة الذين وقفوا على دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، قبل اندثار معالمها، وكان ذلك سنة ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م، فوصف الدار وموقعها من الخارج قائلاً: «يقع مولد ستنا فاطمة في زقاق الحجر، ويقع في الجهة المعاكسة لسوق الليل، لناحية بشعب علي. ومساحة الموقع في حدود ثلاثين ياردة مربعة. ومدخله من زقاق الحجر عبر طريق ضيق، وجدران من الحجر. يعود المبنى إلى زوج الرسول ﷺ خديجة، وفيه ولد أبناء وبنات الرسول ﷺ، الذين اشتهرت منهم فاطمة. وتقع الدار أسفل من الشارع بنحو ٤ إلى ٥ أقدام من مستوى الزقاق»[٢٧]. ويشير رتر إلى أن مدخل الدار كان مغلقاً ببناء من الحجر والطين، مع وجود فجوة صغيرة في ذلك البناء كان يمكن من خلالها رؤية الداخل بصعوبة. أما وصف الدار من الداخل فيتطابق مع وصف البتنوني مما يرجح نقل رتر عنه[٢٨].

عقب زيارة إلدون رتر Eldon Rutter، بعدة سنوات، اختفت معالم الدار، فلم يعد لها أي أثر، فقد ذكر هيكل الذي زار مكة سنة ١٣٥٤هـ/١٩٣٥ م، أن موضع الدار كان أرضاً فضاء لا أثر فيها لشيء[٢٩]. ووافقه على ذلك كل من إبراهيم محمد حبيب، الذي أدى مناسك الحج سنة ١٣٥٦هـ / ١٩٣٨م، وذكر أن موضع دار أبي سفيان، التي كانت ملاصقة لدار السيدة خديجة، أقيم عليه مبنى الصحة العامة [٣٠]. وكذلك محمد لطفي جمعة الذي زار مكة المكرمة سنة ١٣٥٩-١٣٦٠هـ/ ١٩٤٠-١٩٤١م[٣١]. واكتفوا جميعاً بنقل ما خطه البتنوني في وصف الدار ورسمها.

في سنة ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م، ضمن أعمال التوسعة للساحات الشرقية للمسجد الحرام، تم الكشف عن موضع الدار، وتبينت معالمها بصورة واضحة، تُظهر إلى حد كبير جميع المواضع التي وردت إليها الإشارة في كتب الرحالة، وهي أقرب ما تكون إلى الوصف الذي أورده البتنوني. وقد قامت الجهة المسؤولة عن أعمال الحفر والتنقيب برفع قياسات الدار، وما فيه من حجرات وممرات، وتوثيق ذلك بالصور الفوتوغرافية، والرسوم الهندسية، كما هو موضح في القسم التالي من هذه الدراسة. ثم أعيد ردم الدار بمادة رملية للحفاظ على حالتها التي كانت عليها.

هوامش الفصل الرابع:

١ الأزرقي، محمد بن عبد الله، **تاريخ مكة**، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، ط٨، جـ٢(مكة المكرمة: مكتبة الثقافة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، ١٩٩ - ٢٠٠.

٢ الفاكهي، محمد بن إسحاق، **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط٤، جـ٤ (مكة المكرمة: عبد الملك بن دهيش، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ٧ - ٨.

٣ ابن جبير، محمد بن أحمد، **رحلة ابن جبير**، تحقيق: محمد زينهم (القاهرة: دار المعارف، د. ت)، ١٠٦.

٤ ابن جبير، ١٤٢.

٥ ابن بطوطة، محمد بن عبد الله، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تحقيق: محمد العريان، ومصطفى القصاص، ط ٢ (بيروت: دار إحياء العلوم، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢ م)، ١٥٤.

٦ الفاسي، محمد بن أحمد، **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، جـ ١ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ م)، ٤٣٦.

٧ الفاسي، جـ١، ٤٣٦.

٨ الفاسي، جـ١، ٤٣٦.

٩ الفاسي، جـ١، ٤٣٤.

١٠الفاسي، جـ١، ٤٣٧ - ٤٣٨.

١١العياشي، عبد الله بن محمد، **الرحلة العياشية**، تحقيق: سعيد الفاضلي، وسليمان القرشي، جـ١ (أبو ظبي: دار السويدي، ٢٠٠٦ م)، ٣٥٩.

١٢العياشي، ٣٥٩.

١٣جلبي، أوليا، **الرحلة الحجازية**، ترجمة وتقديم: الصفصافي أحمد المرسي (القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٩٩٩م)، ٢٥٧.

١٤جلبي، ٢٥٧ - ٢٥٨.

١٥بركهارت، جون لويس، **رحلات إلى شبه الجزيرة العربية**، ترجمة: هتاف عبد الله (بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠٠٥ م)، ١٠٩.

١٦بركهارت، ١٤٥.

١٧بركهارت، ١٤٥.

١٨الطبري، علي بن عبد القادر، **الأرج المسكي في التاريخ المكي**، إشراف: سعيد عبد الفتاح، تحقيق: أشرف أحمد الجمال (مكة المكرمة: المكتبة التجارية، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، ٧٠.

١٩بيرتون، ريتشارد. ف، **رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز**، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، جـ ٣ (القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٩٥ م)، ١٠٤.

٢٠ صبري باشا، أيوب، **موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب**، أشرف على ترجمتها: محمد حرب،

ترجمة: ماجدة مخلوف وآخرين، جـ ٢ (القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م)، ٨٦٤ – ٨٦٥.

٢١أيوب صبري، ٨٦٥ – ٨٦٦.

٢٢ هورخرونيه، كرستيان سنوك، **صفحات من تاريخ مكة المكرمة**، ترجمة: علي عودة الشيوخ، أعاد صياغته وعلق عليه: محمد محمود السرياني، ومعراج نواب مرزا، ط ٢، جـ ١ (مكة المكرمة: مركز تاريخ مكة المكرمة، ١٤٣٢هـ)، ١١٥ – ١١٦.

٢٣سنوك، جـ ١، ٣٦٤.

٢٤البتنوني، محمد لبيب، **الرحلة الحجازية**، ط ٣ (الطائف: مكتبة المعارف، د. ت)، ٥٣ – ٥٤.

٢٥ رفعت، إبراهيم، **مرآة الحرمين**، جـ ١ (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م)، ١٩٠.

٢٦ إبراهيم رفعت، جـ ١، ١٩٠.

٢٧.Rutter , Eldon , **The Holy Cities Of Arabia** , V1 , (London and New York , G. P. Putnam,s Sons, Ltd), 272-273.

٢٨ Ruter ، 273.

٢٩هيكل، محمد حسين، **في منزل الوحي** (القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب، ٢٠١٠م)، ٢٢٧.

٣٠ حبيب، إبراهيم محمد، **في الأرض المقدسة بين مصر والحجاز** (القاهرة: مطبعة العالم العربي، ١٩٥٠م)، ١٦٦.

٣١جمعة، محمد لطفي، **الأيام المبرورة في البقاع المقدسة**، مراجعة: رابح لطفي جمعة (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٩م)، ٧٨.

الفصل الخامس

دار السيدة خديجة،
رضي الله عنها،
في حفريات
سنة ١٤١٠هـ/١٩٨٩م



في سنة ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، وفي أثناء إعداد المرحلة الأولى من مشروع تطوير الساحات المحيطة بالمسجد الحرام، من جهة حي القشاشية، شرق المسعى، بهدف توفير مساحات لأكبر عدد من المصلين، وكذلك لتوفير مساحات لتنفيذ مشروع أنفاق الخدمات، وتيسير حركة زوار المسجد الحرام، اكتشف القائمون بالمشروع، في أثناء عمليات الإزالة للعقارات القائمة بالمنطقة، بعض المعالم الأثرية في منطقة كانت تعرف ببرحة القبان، التي كانت تقع في شمال شرق المسعى وسوق المدعى، حيث برزت آثار محراب قديم، كان اتجاهه نحو المسجد الحرام، وكان ذلك في الموضع نفسه الذي كانت فيه (مدرسة تحفيظ القرآن الكريم) التي كان قد بناها، بموافقة جلالة الملك عبد العزيز آل سعود، الشيخ عباس قطان، فوق الموقع القديم لدار أم المؤمنين السيدة خديجة، رضي الله عنها، الذي كان يعرف بمولد السيدة فاطمة الزهراء، رضي الله عنها، في زقاق الحجر، الذي عرف قديماً بزقاق العطارين، وحديثاً بزقاق الصوغ.

وما أن عَلِمْتُ بتلك الأنباء، حتى قمت بزيارة الموقع، وتطوعت بتسخير جميع الإمكانات اللازم تأمينها وتوفيرها في مثل تلك الحالة، وفي مثل ذلك الكشف الحساس، للبدء في العمل من فوره، وفي وقت قياسي، حفاظاً على أهمية الكشف.

بعد اتخاذ الإجراءات اللازمة لتسوير الموقع، كلف فريق عمل من المهندسين

المختصين، بمباشرة العمل، مع فريق من العمال المهرة، لإنجاز الحفر والكشف في أسرع وقت عن الموقع.

استغرق العمل المتواصل قرابة الشهر، إذ بدأ العمل يوم التاسع والعشرين من شهر ربيع الآخر لسنة ١٤١٠هـ/التاسع والعشرين من شهر نوفمبر لسنة ١٩٨٩م، وانتهى في السابع والعشرين من شهر جمادى الأولى لسنة ١٤١٠هـ/ ٢٦ من شهر ديسمبر ١٩٨٩م.

وفي أثناء مباشرة العمل، كان يتم توثيق مراحله بالصور الفوتوغرافية، والخرائط، وقياس المساحات بالدقة اللازمة، وعمل المساقط الأفقية. وكنت، في أثناء ذلك، أتابع سير العمل، وأقوم بزيارات ميدانية للموقع، وأناقش مع المختصين مختلف مراحل التنفيذ، مساعداً، بتوفيق من الله، في إزالة أي عائق يعترض التنفيذ.

لقد عملنا، بتواصل، لقرابة الشهر من خلال ثلاث ورديات، تعمل على مدار ٢٤ ساعة يوميا، كل وردية كانت تضم خمسين عاملاً، بدأت معالم الدار تظهر بصورة كاملة. وكنت أتابع العمل بشغف مبعثه حب من سكن الديار. وأذكر أنني اصطحبت، في إحدى زياراتي للموقع، زوجتي وأبنائي، وتشرفنا بالصلاة في موضع حجرة قبة الوحي تبركاً بالموضع الشريف.

سأحاول في الصفحات التالية تقديم الدراسة الوصفية لما نتج عن حفريات موقع دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، في شهر جمادى الأولى لعام ١٤١٠هـ/ ديسمبر ١٩٨٩م، معتمداً في الوصف والتحليل على وسيلتين مهمتين:

الأولى- المعطيات التاريخية التي وفرتها المصادر الأساسية لتاريخ مكة المكرمة، وفي مقدمتها كتاب (أخبار مكة) للأزرقي (ت٢٥٠هـ/٨٦٤م)، وكتاب (أخبار مكة) للفاكهي (توفى ما بين٢٧٢ -٢٧٩هـ/٨٨٥- ٨٩٢م)، باعتبارهما من أقدم مصادر التاريخ المكي، وأقربها للأحداث موضوع الدراسة، وكذلك كتاب (شفاء الغرام

بأخبار البلد الحرام) لتقي الدين محمد بن أحمد الفاسي (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٨م)، باعتباره من أوثق المصادر التاريخية المكية، وأكثرها دقة في وصف الدار، موضوع الدراسة، بالإضافة إلى بعض المصادر المكية الأخرى، وبعض كتب (الرحلات) المذكورة في ثنايا هذه الدراسة.

الأخرى- الصور والجداول والمساقط المساحية لعناصر دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، التي قام بإعدادها، وجمعها فريق العمل المكلف بأعمال الحفريات سنة ١٤١٠هـ/١٩٨٩م للدار.

أولاً- موقع الكشف:

تم في تاريخ التاسع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ١٤١٠هـ/٢٩ نوفمبر ١٩٨٩م، وضع سياج من الألواح المعدنية التي كانت تعزل الموقع من فضول المارة، وأدخلت معدات ثقيلة للحفر والتجريف. والصورة التالية [صورة رقم ٩]،



صورة رقم (٩).

توضح بداية عملية الحفر. ويظهر فيها جزء من الجدار الغربي لمدرسة تحفيظ القرآن الكريم التي كان قد أقامها الشيخ عباس قطان، بموافقة الملك عبد العزيز آل سعود، فوق موقع دار السيدة خديجة، رضي الله عنها.

مع استمرار عمليات الحفر، أخذت الجدران الأساسية تظهر بوضوح، وتتشكل تقسيمات الدار وحجراتها المختلفة، وبُدئ في إزالة الجدار الغربي لمدرسة تحفيظ القرآن الكريم، بحثا عما يمكن العثور عليه تحت الجدار المذكور. يلاحظ من الصورة التالية وقوع المبنى في مستوى أسفل من مستوى سطح الأرض، بحيث يتم الدخول إليه باستخدام سبع درجات نحو الأسفل من مدخل الدار الشرقي الذي كان يقع على زقاق الحجر المعروف قديماً بزقاق العطارين. [صورة رقم ١٠].



صورة رقم (١٠).

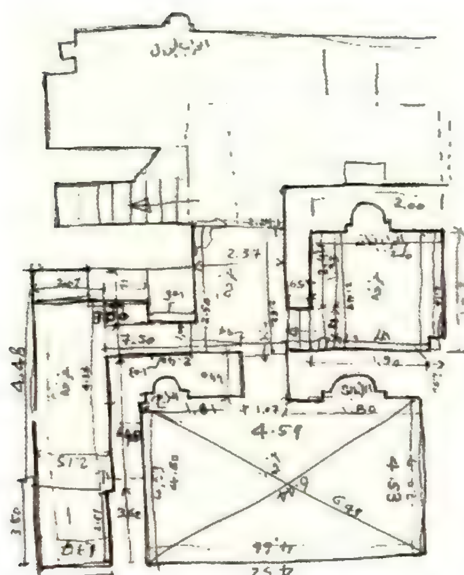
في الصورة التالية [رقم ١١] بدأت ملامح الدار والإضافات التي أدخلت عليها تظهر بوضوح، مشتملة على الرواق الأمامي للمسجد الذي ذكره الفاسي، والذي

شمل أيضاً الصحن والرواق المؤخر الموازي لحجرات الدار، ثم حجرات دار السيدة خديجة، رضي الله عنها.



صورة رقم (١١).

ويمثل الشكل التالي[رقم ١٥]، مسقطاً أفقياً للدار بعد ظهور الحوائط والأرضيات بوضوح.



شكل رقم (١٥).

الصورة التالية [صورة رقم ١٢]، توضح الموقع مشتملاً لما حوله من معالم، حيث يظهر الجانب الشرقي الشمالي من المسعى، قبل التوسعة الأخيرة، مما يجعل موقع الدار، في الوقت الحاضر، على مسافة أقرب إلى المسجد الحرام.



صورة رقم (١٢).

أما الصورتان التاليتان، فتبرز الأولى [صورة رقم ١٣] كامل الموقع بعد الانتهاء من الحفر، وبدء عمليات القياس للحجرات، وتنظيف الأرضيات، وتحديد المعالم العمرانية للدار الأساسية، والإضافات المختلفة التي حدثت خلال تاريخها.



صورة رقم (١٣).

أما الصورة الأخرى [صورة رقم ١٤] فالتقطت عن قرب بحيث تزيد من وضوح معالم الدار المكونة من الأجزاء المؤشر عليها بالأرقام كالتالي:



صورة رقم (١٤).

١- حجرة مولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها.

٢- حجرة قبة الوحي.

٣- حجرة المختبأ.

٤- الرواق المقدم للمسجد الذي ذكره الفاسي.

٥- صحن ما بين الرواق المقدم والرواق المؤخر.

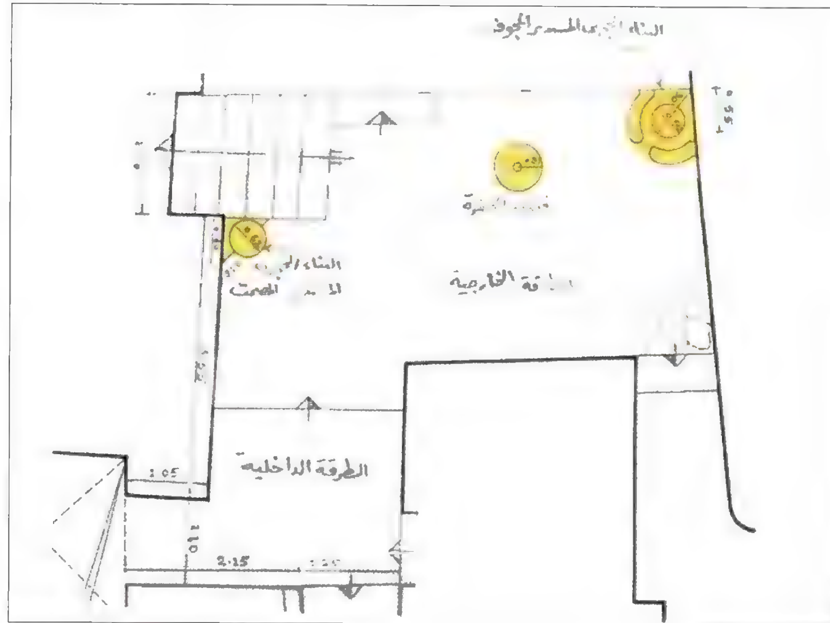
٦- الرواق المؤخر.

٧- دار أبي سفيان.

٨- موضع مربد مولد فاطمة، رضي الله عنها.

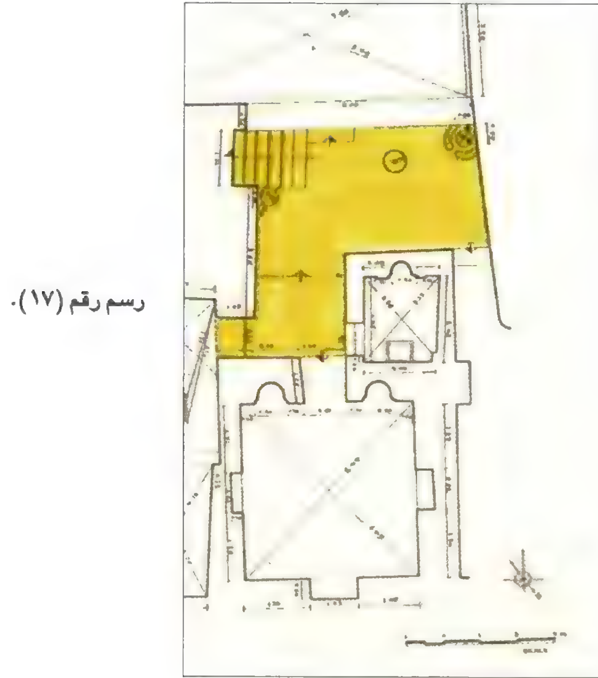
ثانياً- مدخل الدار

كشفت حفريات سنة ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، مدخلاً لدار السيدة خديجة، رضي الله عنها، يؤدي إلى الحجرات الرئيسة للدار. فالطريق خارج الدار، وهو زقاق الحجر أو زقاق الصوغ، كان يرتفع عن مستوى أرضية الدار بسبع درجات، طول كل درجة ١٥٠سم، ويتراوح ارتفاع كل درجة ما بين ١٥-٢٠سم. وتؤدي الدرجات هبوطاً



رسم رقم (١٦).

إلى الصحن الذي كان بين الرواقين [رسم رقم ١٦]. أرضية الصحن مبلطة بالحجر الأسود غير المنتظم. ويوضح المسقط الأفقي [رقم١٧] رسم المدخل والطرقات الداخلية والخارجية.



رسم رقم (١٧).

وبعد اكتمال الحفر وتنظيف المدخل والطرقات وجد فيها ما يلي:

١- بناء حجري مستدير مصمت، يبلغ قطره نحو ٥٢ سم، وارتفاعه نحو ٢٠ سم؛ وجد في الركن المحصور بين السلم والجدار الجنوبي الشرقي للدار، كما في الصورة التالية: [صورة رقم ١٥]



صورة رقم (١٥).

٢- حفرة مدورة على هيئة بئر تقع في وسط ساحة الدار، في مواجهة آخر الدرج المؤدي إلى الدار من زقاق الحجر، وهي على بعد ١٦٠سم من الدرجة الأخيرة. فتحة الفوهة، عند العثور عليها، كانت مغطاة بقطعة فخارية دائرية، قطرها ٦٢سم. بدأ الحَفْرُ والتعمق في داخلها نزولاً إلى عمق ٢٢٠سم نحو القاع. كانت حوائط الحفرة مغطاة بحجر أسود من الداخل مع بروزات ونتوءات غير منتظمة، وأرضية الحفرة دائرية قطرها نحو مترين. وتظهر فتحة الحفرة في الصورة التالية: [صورة رقم ١٦]



صورة رقم (١٦).

ولعل هذه الحفرة كانت في الأصل البئر التي كانت تعرف بـ(رُمْ) والتي وردت الإشارة إليها في القسم التاريخي من الدراسة، وذكر بأن عبد شمس احتفرها في الجاهلية.

٣- بناء حجري مستدير الشكل مجوف، موقعه في الركن الغربي من ساحة الدار

الخارجية، في الزاوية الغربية المواجهة للدرج. يبلغ قطر تجويف البناء من الداخل نحو ٥٠سم، وهو كما يظهر في الصورة التالية: [صورة رقم ١٧]



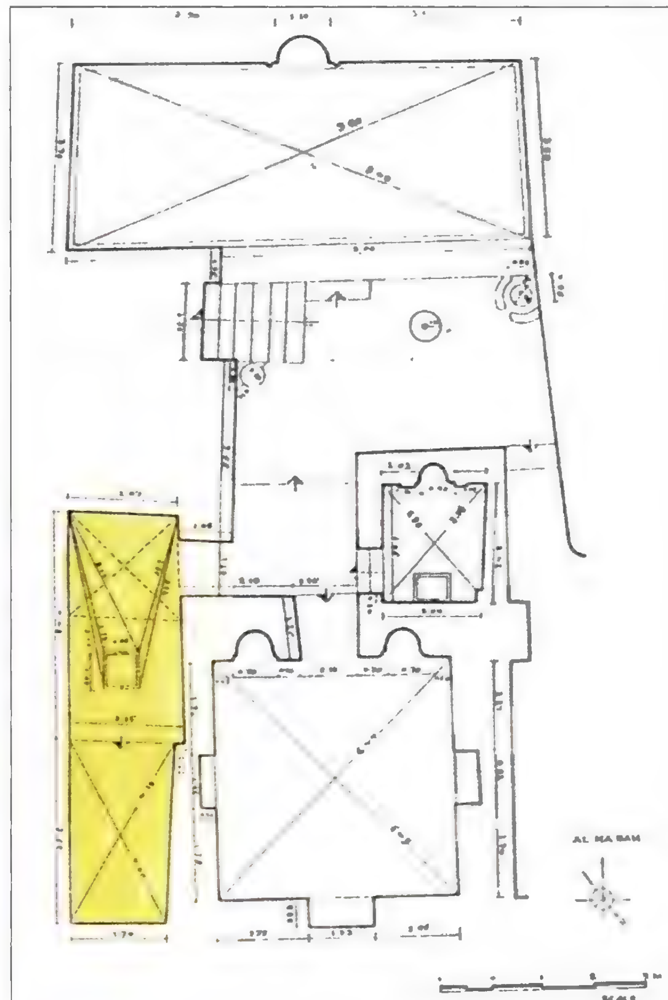
صورة رقم (١٧).

الساحة الخارجية للدار، وقد كانت في الأصل، على عهد الفاسي، صحناً فاصلاً بين الرواق المقدم والرواق المؤخر للمسجد. الساحة الخارجية التي كشف عنها سنة ١٤١٠هـ/١٩٨٩م تتصل بطرقة داخلية للدار مساحتها في حدود ٣,٥×٣,٥متر مربع، تعمل موزعاً لحجرات الدار الثلاث: حجرة مولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها، وحجرة قبة الوحي أو حجرة السيدة خديجة، رضي الله عنها. (كما أطلق عليها المتأخرون)، وحجرة المختبأ أو مصلى النبيﷺ، أو قبة الوحي، (كما أطلق عليها المتأخرون من المؤرخين). وتنخفض أرضية الطرقة الداخلية عن مستوى الساحة الخارجية، أو الرواق المؤخر، بدرجة واحدة تمتد بعرض الطرقة الداخلية.

ثالثاً- حجرة مولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها:

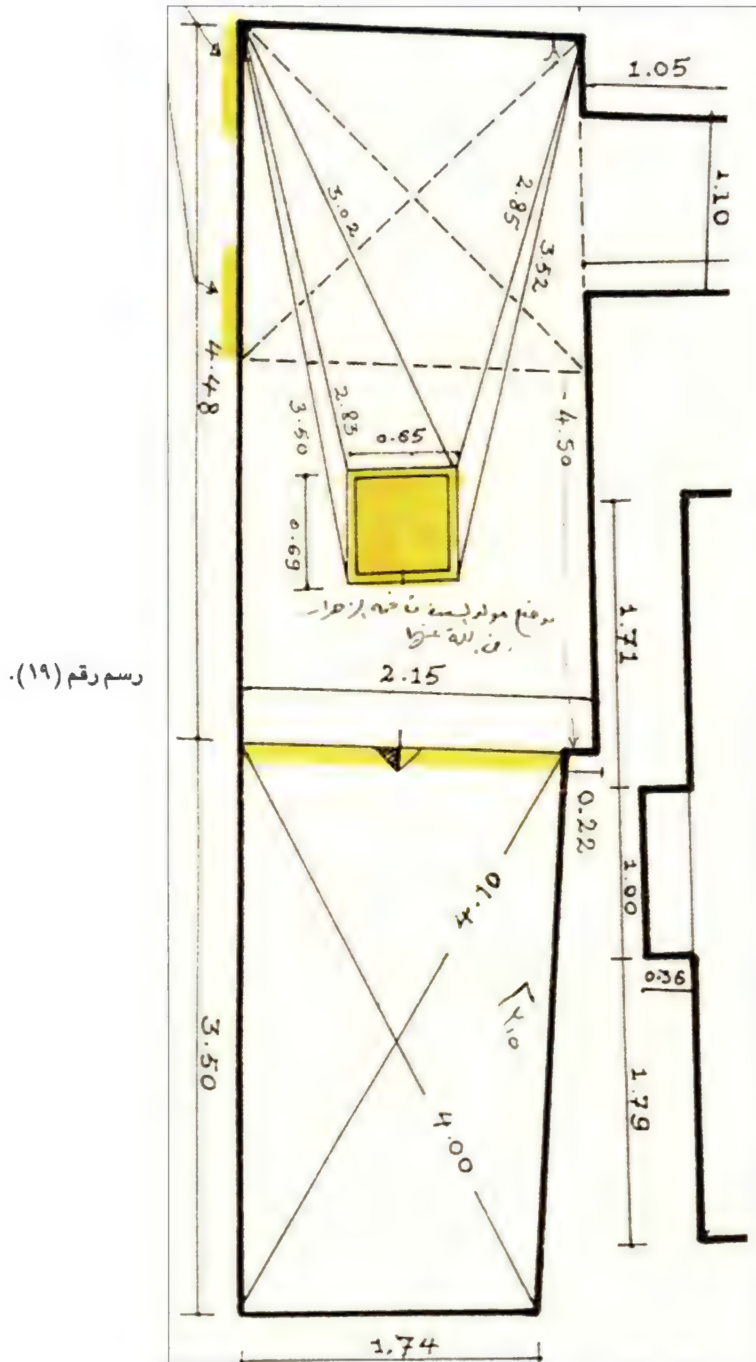
كشفت عمليات الحفر لسنة ١٤١٠هـ/١٩٨٩م عن حجرة مولد السيدة فاطمة،

رضي الله عنها، في الناحية الشمالية الشرقية من الدار الأساسية للسيدة خديجة، رضي الله عنها. وهي حجرة مستطيلة، طول جدارها الجنوبي الشرقي ٧،٩٨م، والجنوبي الغربي ٢،٠٧م والشمالي الشرقي ١،٧٤م. وينقسم الجدار الشمالي الغربي إلى قسمين: الأول، وهو الأقرب إلى مدخل الحجرة، طوله ٤،٥م. والآخر طوله ٣,٥م. القسم الأول من الحجرة يزيد في عرضه عن القسم الآخر بنحو ٢٢سم. أما مستوى أرضية القسم الآخر من الحجرة، وهو الأبعد عن مدخل الحجرة، فينخفض بمقدار درجة واحدة عن مستوى القسم الأول. إما الحوائط فمبنية بالحجارة المكسوة بالنورة البيضاء. وسمك الحوائط يتراوح بين ٦٠ إلى ٨٠سم. المسقط الأفقي [رقم ١٨] يوضح موضع حجرة مولد فاطمة، رضي الله عنها (باللون الأصفر) من كامل الدار، وما ألحق بها.



رسم رقم (١٨).

أما المسقط الأفقي [رقم ١٩] فيوضح مولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها، مشتملا على الأبعاد والمسافات، وكذلك موضع ولادتها، رضي الله عنها، إذ وجد في أرضية الحجرة، في قسمها الأول القريب من مدخل الحجرة، وتحديداً في وسط المسافة بين الجدارين، الجنوبي الشرقي، والشمالي الغربي.



رسم رقم (١٩).

وعلى يسار الداخل للحجرة، قطعة من حجر الرخام أبعادها ٦٥×٦٩ سم مربع مستديرة استدارة غير كاملة، وبتجويفات حول الأضلاع، وتظهر على القطعة الرخامية آثار قطع صغيرة من الخشب. ووجد على الجدار الجنوبي الشرقي، في الجزء الأول منه، آثار من مثلثات كروية في الأركان.

تظهر في الصورة التالية كامل الدار وملحقاتها [صورة رقم ١٨]، مع صورة مستخلصة لموضع حجرة مولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها. [صورة رقم ١٩]



صورة رقم (١٨).



صورة رقم (١٩).

أما مدخل حجرة مولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها، فيقع على يمين الداخل إلى الدار؛ في الجدار الشمالي الغربي، قريباً من طرفه الغربي. وعرض فتحة المدخل نحو ١١٠سم، تؤدي إلى الطرقة الداخلية. ومستوى أرضية القسم الأول من حجرة مولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها، هو المستوى نفسه لأرضية الطرقة. ويقع موضع الولادة في القسم الأول من الحجرة، على يسار الداخل إليها، كما في الصورة التالية: [صورة رقم ٢٠]



صورة رقم (٢٠).

مقارنة قياسات حجرة مولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها، في كشف سنة ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، بالقياسات التي ذرعها الفاسي (ت٨٣٢هـ /١٤٢٨م)، تظهر فارقاً شاسعاً. إذ حدد الفاسي قياساتها بـ (٣,٣٧×٤,٨٧٥ بذراع الحديد)، أي (١,٨٩×٢,٧٤ بقياس المتر)، وكان موضع مولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها، في المنتصف من الحجرة، الأمر الذي يؤكد أن الحجرة المذكورة قد وقعت عليها زيادات فاقت الأصل بنحو أربع مرات، مع إبقاء إشارة موضع المولد الرخامية في مكانها الأصلي. وسوف يدرك القارئ مدى الإضافات التي حدثت في العهد العثماني، دون المساس بالأصل، كما ورد في القسم التاريخي من هذه الدراسة. وربما كانت تلك الإضافات من عمل شيخ الحرم المكي، أحمد أفندي، في إصلاحاته التي أحدثها لحجرة مولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها، سنة ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨م، بعد موافقة السلطان العثماني عليها؛ أو ربما كانت قبل ذلك، على عهد السلطان أحمد خان(١١١٥- ١١٤٣هـ/١٧٠٣- ١٧٣٠م) في عمارته للدار سنة ١١٢٢هـ/ ١٧١٠م، أو السلطان عبد المجيد العثماني(١٢٥٥- ١٢٧٧هـ/١٨٣٩- ١٨٦٠م) في عمارته للدار.

إن حجرة مولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها، كانت في الأصل صغيرة المساحة، مثبت في وسطها ما يشير إلى موضع الولادة تحديداً، وهي حجرة ثابتة لم يحدث فيها أي تغيير طوال تاريخها، باستثناء الزيادات التي ألحقت بها في العهد العثماني، من جهة الجنوب، ومن جهة الشمال، حتى استحالت مستطيلة الشكل. ويبدو أن زيادة عدد الزوار وإقبالهم على الموضع دفع القائمين على تلك الدار إلى زيادة مساحتها.

رابعا- قبة الوحي

قبة الوحي هي الحجرة الثانية من حجرات دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، وذلك حسب وصف الفاسي للدار، وهي التي أصبحت تعرف، عند بعض من المتأخرين، بحجرة السيدة خديجة، رضي الله عنها.

في هذه الحجرة كان يتعبد سيدنا رسول الله ﷺ، بعد نزول الوحي، يلتقي فيها جبريل عليه السلام، ويتلقى الوحي، وفيها كان يختلي إلى نفسه ﷺ.

الأزرقي، والفاكهي لم يسمياها تحديداً بغرفة الوحي، لكن ابن جبير، في النصف الثاني من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، عند وصفه لمخطط الدار، قال: إنها تتكون من عدة مواضع، مسقوف بعضها بالقباب، منها حجرة قبة الوحي، وهي في دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، وقبة صغيرة في حجرة أخرى من الدار كان فيها مولد فاطمة، رضي الله عنها.

الفاسي (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٨م) سمى الحجرة بقبة الوحي، وقال بأنها التالية لحجرة مولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها. وقال: إن ذرعها بذراع الحديد يبلغ ٨,٦٦× ٨,٥، وهو ما يساوي ٤,٨٨×٤,٧٩ بقياس المتر. كانت الحجرة، حسب وصفه، ملاصقة لحجرة مولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها.

استمرت حجرات دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، حتى عهد الفاسي، ثابتة على الترتيب نفسه: مولد فاطمة، فقبة الوحي، فالمختبأ. وحجرة قبة الوحي هي أكبر الحجرات مساحة. ثم أخذ بعض المتأخرين في تغيير أسماء بعض الحجرات، كقبة الوحي، والمختبأ؛ فأطلقوا اسم حجرة السيدة خديجة، رضي الله عنها، على حجرة قبة الوحي. كما أطلقوا اسم حجرة قبة الوحي على المختبأ. بدأ ذلك الأمر من الطبري(ت١٠٧٠هـ/١٦٥٩م) صاحب كتاب (الأرج المسكي)، حتى تواتر استخدام تلك الأسماء لحجرات الدار. وهو ما دفع بالبتنوني إلى إطلاق اسم غرفة النبي ﷺ على المختبأ.

زيادة على ذلك، فقد حول البتنوني الرواق المقدم للمسجد الذي أشار إليه الفاسي، والذي استمر حتى إزالة المبنى، وجعله غرفة لاستقبال الوفود، وهو استخدام لم يذكره أحد من المؤرخين المتقدمين.

كما أضاف البتنوني للواجهة الغربية الشمالية، وبمساحة كامل الدار وملحقاته، مكاناً لتجارة السيدة خديجة، رضي الله عنها؛ وهو ما لم يعرف بذلك قبل البتنوني. وإنما كان ذلك المكان هو موضع المربد الذي اشتراه الخليفة الناصر العباسي (٥٧٥- ٦٢٢هـ/ ١١٧٩- ١٢٢٥م)، وجعله وقفاً لمصالح دار أم المؤمنين خديجة، رضي الله عنها.

في كشف سنة ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ظهرت حجرة قبة الوحي، أو ما أطلق عليها بحجرة السيدة خديجة، رضي الله عنها، جلية واضحة على أنها أكبر حجرات الدار مساحة، إذ كانت مساحتها بعد تنظيف الحجرة في حدود ٤,٥×٤,٥٣ م، وهو قياس قريب من ذرع الفاسي، والحجرة مربعة الشكل، مبنية من الحجارة، مدخلها في وسط الجدار القبلي الجنوبي. وعلى جانبي المدخل في هذا الجدار بني محرابان، أحدهما على يمين الداخل، والآخر على يساره، واتجاه المحرابين نحو القبلة. الصورة التالية للحجرة، ويظهر فيها المحرابان. [صورة رقم ٢١]



صورة رقم (٢١) لحجرة قبة الوحي ويظهر في واجهتها الجنوبية مدخل الحجرة وعلى جانبيه محرابان.

كان المحرابان، الأيمن والأيسر للداخل إلى الحجرة، على نمط متقارب في العمارة والحجم، خاليين من أي نقوش أو تحلية معمارية، وبنيا من نوع الأحجار نفسها التي بنيت بها الغرفة، ويظهر المحراب الأيمن للداخل إلى الحجرة، في الصورة التالية: [صورة رقم ٢٢]



صورة رقم (٢٢).

كما يظهر في الصورة التالية [صورة رقم ٢٣] المحراب الأيسر للداخل إلى الحجرة، وقد ظهرت في أسفل الصورة آثار الحفرة التي أحدثها فريق العمل، بهدف البحث عما يمكن أن يوجد تحت مستوى الأرضية من آثار أو مبان

مطمورة، ولم يسفر البحث عن آية آثار أو ما يمكن تسجيله، وما وجد هو امتداد لأساسات الجدران الحجرية.



صورة رقم (٢٣).

لوحظ أن الجدار الشمالي الشرقي، المواجه لمدخل حجرة السيدة خديجة، رضي الله عنها (قبة الوحي، كما ذكر الفاسي)، فيه جزء مثل فتحة الشّباك ولكنها غير نافذة، وهي فتحة مستطيلة الشكل، مع عمق في جسم الجدار، ربما كانت تستخدم رفاً توضع عليه بعض المواد، وذلك كعادة تصميم الحجرات المنزلية المكية آنذاك. تظهر تلك الفتحة غير النافذة في الجدار في الصورة التالية:[صورة رقم ٢٤]



صورة رقم (٢٤) السهم يشير إلى شكل الشباك غير النافذ في الجدار.

خامساً:- المختبأ (مصلى النبيﷺ)

قال الفاسي: إنها الموضع الذي يقال له المختبأ. وهو موضع تال وملاصق لقبة الوحي، أو حجرة السيدة خديجة، رضي الله عنها، كما قال به المتأخرون. ذرع الفاسي الحجرة، فوجدها أربعة أذرع وثلث ذراع، من الجدار الذي فيه المحراب إلى الجدار الذي يقابله، وهو طرف جدار قبة الوحي. أما ذرعه عرضاً فثلاثة أذرع وثلثا ذراع؛ وذلك من الجدار الذي فيه بابه إلى الجدار المقابل. وكل ذلك بذراع الحديد، أي ٢,٤٤×٢,٠٦، بقياس المتر.

هذا الموضع (المختبأ) جعله الطبري صاحب (الأرج المسكي) قبة الوحي، فقال: وكان على يمين النازل إلى الدار ثلاثة أماكن، كل واحد منها بباب مستقل: الأول، مما يلي الدرجة على يمين الداخل، مولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها، وبجنبه بيت خديجة، رضي الله عنها، وإلى جانبه قبة الوحي.

أما البتنوني فسمى موضع المختبأ مصلى النبيﷺ، وجعل مساحة الحجرة مربعة

ضلعها ثلاثة أمتار، وهي أصغر حجرات الدار. ولم تكن هذه الحجرة مسقوفة في عهد الأزرقي والفاكهي، ثم سقفت وقببت بعد ذلك في عصور مختلفة، كما ذكر في القسم التاريخي من هذه الدراسة.

كشفت حفريات سنة ١٤١٠هـ/١٩٨٩م عن هذه الحجرة، التي عرفت عند المتأخرين بحجرة مصلى النبيﷺ، أو قبة الوحي. تفاصيل كثيرة توافقت، إلى حد كبير، مع وصف أيوب صبري لموجودات الحجرة، بالرغم من أنه لم يسجل مساحتها الكلية.

بعد تنظيف حجرة مصلى النبيﷺ، قام فريق العمل بقياس أبعادها طولاً وعرضاً؛ فبلغت طولاً من الجدار الذي به المحراب إلى الجدار المقابل له نحو ٢,٤٥م. و عرضاً من الجدار الذي به مدخل الحجرة إلى الجدار الغربي المقابل له نحو ٢,٠٦م. ويلاحظ أن هذه الحجرة، وهي المختبأ عند الفاسي، ومصلى النبيﷺ عند المتأخرين، بقيت على مساحتها نفسها تقريباً دون تغيير، مما يؤكد أنها في الأصل هي حجرة المختبأ. وتظهر حجرة المختبأ، أو ما أطلق عليها حجرة مصلى النبيﷺ عند المتأخرين في الصورة التالية. [صورة رقم ٢٥]



صورة رقم (٢٥)

إن أبرز ما وجد في هذا الحجرة من آثار هي:

١- مدخل الحجرة، ويقع في الجدار الشرقي ملاصقاً للجدار الجنوبي لحجرة السيدة خديجة، رضي الله عنها، وسعته لا تزيد عن سبعين سنتمتراً، كما تبين الصورة[رقم ٢٦].



صورة رقم (٢٦) مدخل حجرة المختبأ.

٢- عند مدخل الحجرة من الداخل اكتشف حوض رخامي مربع الشكل، أبعاده في حدود ٤٠X٤٠ سم، كما في الصورة التالية: [صورة رقم ٢٧]



صورة رقم (٢٧).

وكشف في الأرضية المجاورة للحوض، من داخل الحجرة، قطعة مزخرفة من السيراميك المحلى بزخارف نباتية، كما في الصورة التالية: [صورة رقم ٢٨]



صورة رقم (٢٨).

٣- في وسط الجدار الجنوبي المواجه للقبلة، كشف عن محراب مصلى النبيﷺ، إذ يظهر في الصورة التالية [رقم ٢٩]، الجزء السفلي من المحراب، وفي الصورة [رقم ٣٠] يظهر الجزء العلوي:



صورة رقم (٢٩) الجزء السفلي من المحراب في حجرة مصلى النبي ﷺ.



صورة رقم (٣٠) الجزء العلوي من المحراب في حجرة مصلى النبي ﷺ.

ويقوم المحراب على عمودين جانبيين، لكل عمود قاعدة أعرض من العمود قليلاً، ثم يمتد العمود إلى أعلا بتجاويف طولية. وتوضح الصورتان التاليتان [رقم ٣١، ٣٢] قاعدة أحد العمودين، وشكل التجاويف الطولية لعمود المحراب.



صورة رقم (٣١) لقاعدة أحد العمودين.



صورة رقم (٣٢) للتجاويف الطولية.

أما أرضية المحراب، وفي موضع سجود المُصَلّى، فتوجد قطعة من السيراميك سداسية الأبعاد، مركب عليها قطع صغيرة من اللونين الأزرق الداكن والأزرق الفيروزي. وهذه القطعة هي التي أشار إليها ووصفها أيوب صبري بقوله: إن بموضع سجوده ﷺ حجر من الماس مسدس الشكل، قطره كقطر أصبع اليد، ووضع هذا الحجر وسط المحراب. وتظهر الصورة التالية [رقم ٣٣] تلك القطعة كما كشفت عنها حفريات سنة ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.



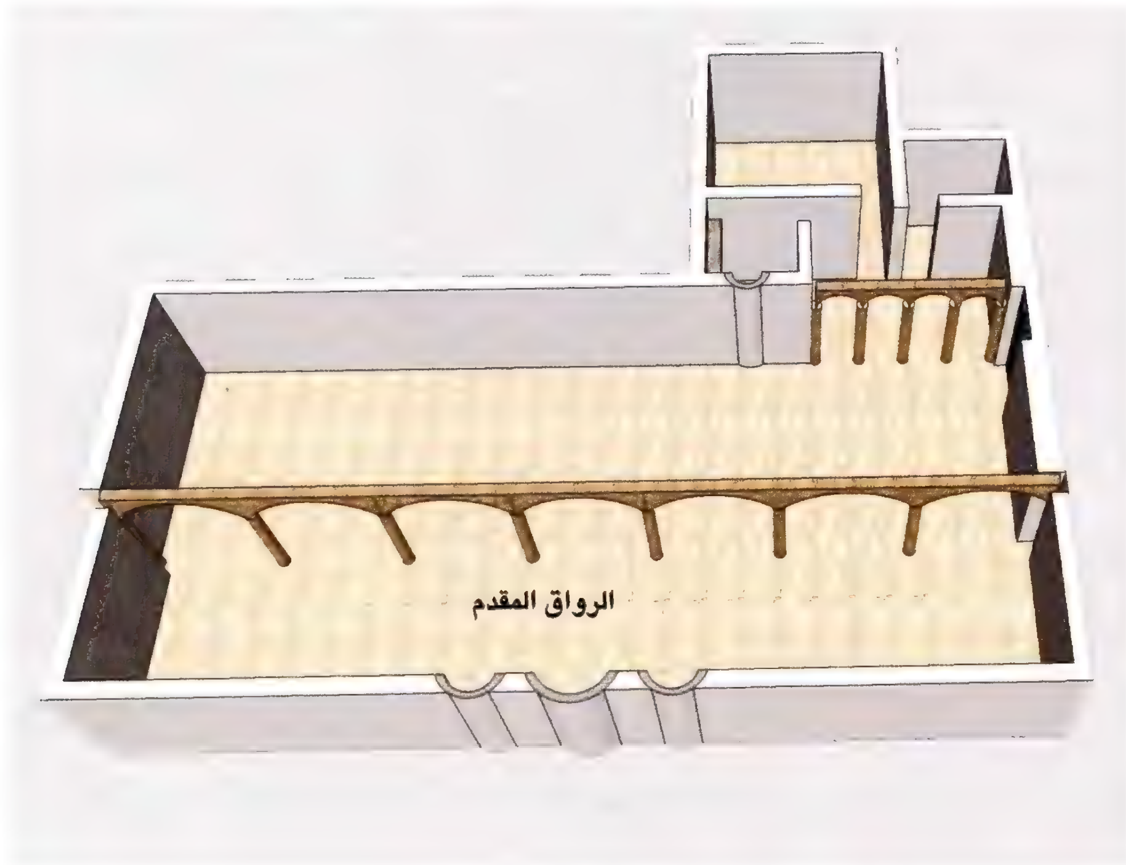
صورة رقم (٣٣).

سادساً- الرواق المقدم للمسجد

اتفق الأزرقي والفاكهي، والفاسي، على أن الدار، دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، كان قد اشتراها معاوية بن أبي سفيان؛ وحّول جزءاً مما اشتراه مسجداً؛ وبقيت حجرات الدار الأساسية على ما كانت عليه. ولقد فَصَّل الفاسي خطط الدار والمسجد، وذكر، كما جاء في القسم التاريخي من هذه الدراسة، أن المسجد كان فيه رواق مقدم، كما سماه الفاسي، به سبعة عقود على ثمانية أساطين. وفي وسط جداره القبلي ثلاثة محاريب أحدها الرئيسي الكبير، وفيه، ست وعشرون سلسلة في صفين أي ثلاث عشرة في كل عمود من عمودي المحراب الكبير. وكان ذرع هذا الرواق المقدم ٣٨ ذراعاً طولاً، وذرعه عرضاً ٧ أذرع وربع، أي ٢١,٤٢× ٤,٠٨ بقياس الأمتار. [رسم رقم ٢٠]

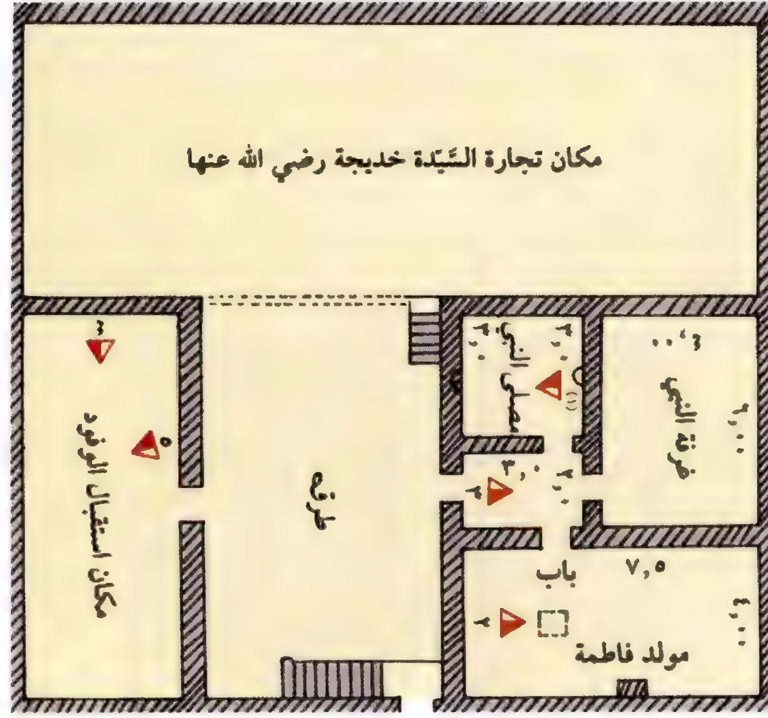
يلي الرواق المقدم، إلى الشمال منه، صحن مبلط، ثم في مواجهة حجرات الدار من الجنوب، رواق مؤخر أصغر مساحة من الرواق المقدم، يمتد من مدخل الدار إلى جدار المختبأ. وكان ذرع الرواق المؤخر ٢٣ ذراعاً طولاً، و ١٠ أذرع عرضاً، أي ١٢,٩٦ متراً طولاً في ٥,٦٤ أمتار عرضاً.

اتفق معظم المؤرخين، حتى زمن ابن ظهيرة، على وجود الرواق المقدم للمسجد؛ وأن حجرات الدار هي الحجرات الثلاث، بالرغم من أن المتأخرين غيروا أسماء حجرتين منهما، هما: قبة الوحي، والمختبأ؛ وأن الإضافة القبلية للدار استمرت مسجداً. ومن الرحالة الذين أقروا بوجود المسجد أوليا جلبي في (رحلته) سنة ١٠٨٢هـ/١٦٧١م. وبيرتون في (رحلته) إلى مكة سنة ١٢٦٩هـ/١٨٥٣م، الذي وصف عقود وأسطوانات الرواق المقدم والصحن. أيوب صبري، الذي جاء إلى مكة المكرمة أواخر القرن الثالث عشر الهجري/ أواخر التاسع عشر الميلادي، أشار إلى المسجد في قبلة دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، الأمر الذي يؤكد استمرار وجود المسجد حتى أواخر القرن الثالث عشر الهجري/ أواخر التاسع عشر الميلادي.



رسم رقم (٢٠) تخيلي ثلاثي الأبعاد لموضع الرواق المقدم من كامل الدار والمسجد.

أول من أشار إلى حجرة استقبال الوفود، في موضع الرواق المقدم، كان البتنوني في (رحلته) سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م، حين أطلق على الرواق (غرفة استقبال الوفود)، دون أن يسند ذلك إلى مصادر أخذ عنها. وأطلق على الصحن الذي ما بين الرواقين (الطُّرْقَة)، وجعل من مربد مولد فاطمة، رضي الله عنها، الذي وقفه الناصر العباسي (٥٧٥- ٦٢٢هـ/١١٧٩- ١٢٢٥م) على مصالح دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، (غرفة لتجارة السيدة خديجة) رضي الله عنها، تستودع فيها البضائع. والرحالة الذين زاروا الدار وكتبوا عنها من بعد البتنوني، تأثروا بما كَتَبَ، وأخذوا عنه دون مناقشة، فاعتبروا الرواق المقدم (غرفة لاستقبال الوفود) وفق ما جاء في مخطط البتنوني للدار. [رسم رقم ٢١]



رسم رقم (٢١)

كشفت حفريات سنة ١٤١٠هـ/١٩٨٩م للدار عن قاعة مستطيلة تقع في أقصى يسار المدخل، فعند الدخول إلى الدار من زقاق الحجر، ينزل الداخل عبر الدرج إلى الساحة الداخلية. فإن اتجه يساراً نحو الجنوب تواجهه القاعة المذكورة. وقد تمكن فريق العمل من قياس مساحات القاعة المذكورة، فوجدها بمقياس الأمتار كالتالي:[رسم رقم ٢٢]

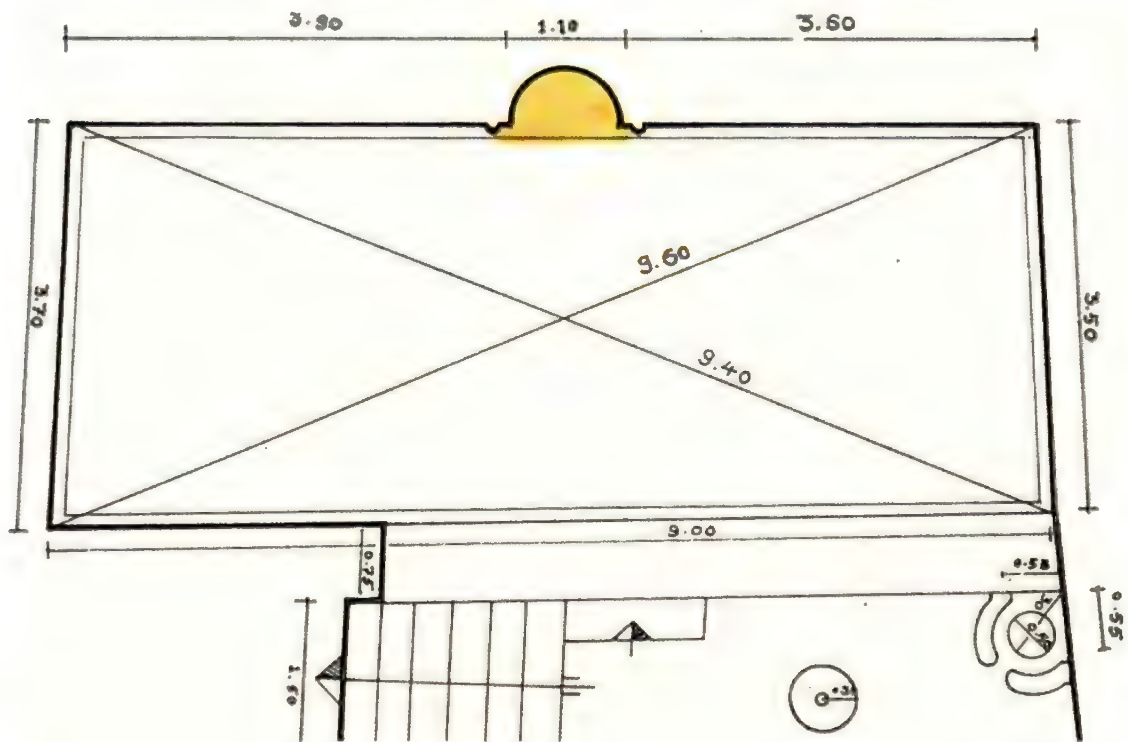
طول الجدار الشمالي الشرقي ٩,٠٠

طول الجدار الشمالي الغربي ٣,٥٠

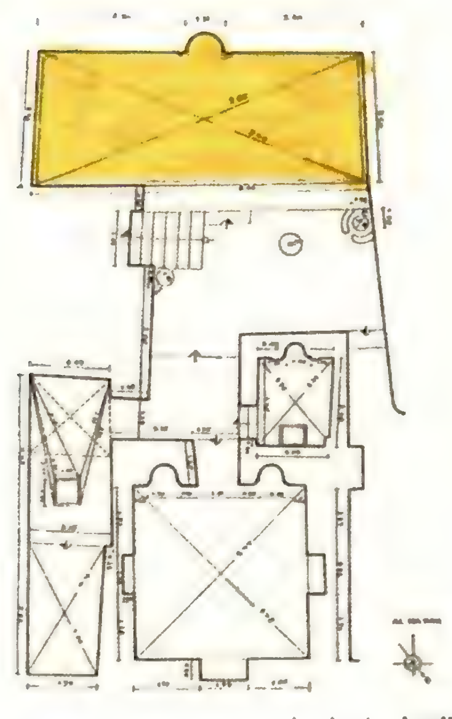
طول الجدار الجنوبي الغربي ٨,٦٠

طول الجدار الجنوبي الشرقي ٣,٧٠

وتمكن الفريق من رسم المسقط الأفقي للقاعة المذكورة كالتالي: [رسم رقم ٢٣]

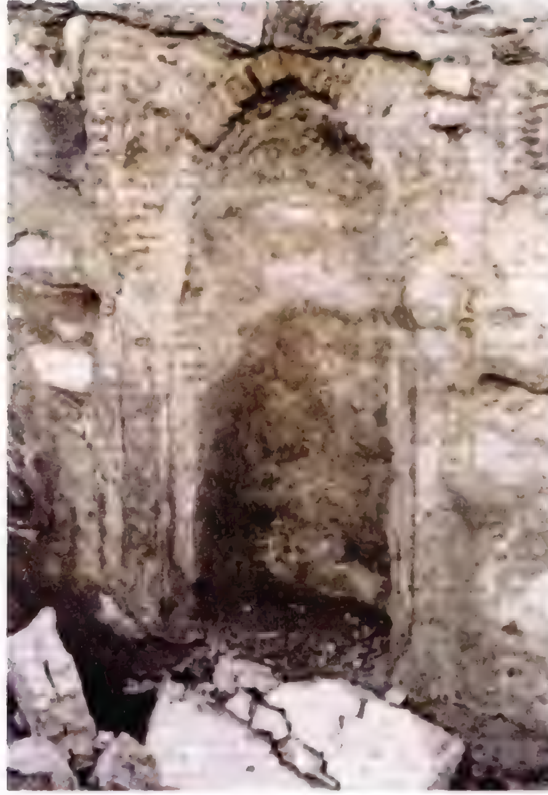


رسم رقم (٢٢).



رسم رقم (٢٣).

وُجِدَ في الجدار الجنوبي الغربي محراب كبير [صورة رقم ٣٤]، يرتفع عن مستوى أرضية القاعة قليلاً، وكان عرض المحراب بمقدار ١,١٠ متر، وهو المحراب الرئيس الذي ذكره الفاسي وقال: إن على عموديه سلسلتين زخرفيتين تتكون كل سلسلة من ثلاث عشرة دائرة.



صورة رقم (٣٤) المحراب الرئيس في الرواق المقدم. ويبدو على الهيئة نفسها التي وصفها بها الفاسي من وجود سلاسل على عمودي المحراب.

هذه القاعة المستطيلة ترتفع عن مستوى الصحن بمقدار درجتين مستطيلتين، وأرضية القاعة مبلطة ببلاط مربع الشكل، أحمر اللون، على نمط البلاطات العباسية. الجدران مبنية بالحجارة المكسوة بطبقة النورة البيضاء. وفيما يلي صورة للدار بكاملها [صورة رقم ٣٥]، وتحتها صورة مجتزأة من كامل الدار [صورة رقم ٣٦] لقاعة الوفود.



صورة رقم (٣٥).



صورة رقم (٣٦) للرواق المقدم للمسجد (قاعة الوفود) أخذت من الناحية الغربية.

إن هذه القاعة التي أطلق عليها البتنوني اسم (قاعة الوفود) أو (غرفة استقبال الوفود)، إنما هي الرواق المقدم، كما نعته الفاسي ملحقاً بدار السيدة خديجة، رضي الله عنها، وقد تواتر، حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري / أواخر التاسع عشر الميلادي، أن (دار أم المؤمنين السيدة خديجة، رضي الله عنها)، كانت على هيئة مسجد في اتجاهه الجنوبي، مكون من رواق مقدم، ورواق مؤخر، وبينهما صحن، يليهم في اتجاه الشمال الشرقي دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، بحجراتها الثلاث.

ونعتقد أن الحفر للرواق المقدم لو امتد غرباً لكشف عن المساحة الكاملة للرواق المقدم والصحن الذي يليه، المذكورين عند الفاسي، والذي يظهر في الصورة التالية [صورة رقم ٣٧] التي عدل فيها شكل الدار المكتشفة باستخدام برنامج الفوتوشوب.



صورة رقم (٣٧) معدلة لشكل الدار.

سابعاً- الرواق المؤخر

الفاسي حدد مساحة الرواق المؤخر بثلاثة وعشرين ذراعاً طولاً، وعشرة أذرع عرضاً، أي بما يعادل ١٢,٩٦ طولاً و٥,٦٤ عرضاً بقياس المتر. وكان موقع الرواق على يمين الداخل إلى الدار ممتداً من جدار المختبأ حتى جدار الدار، وذلك قبل توسعة حجرة مولد فاطمة، رضي الله عنها.

ويوضح الشكل التالي رسما تخيليا ثلاثي الأبعاد للرواق المؤخر كما كان في عهد الفاسي. [رسم رقم ٢٤]



رسم رقم (٢٤).

في حقبة ما بعد زمن الفاسي أدخلت تعديلات على الدار، منها توسعة حجرة مولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها، من ناحيتي الجنوب والشمال الشرقي. فاستقطعت توسعة الحجرة، جنوباً، جزءاً من الرواق المؤخر، كما استقطعت مساحة أخرى من الرواق المؤخر للموزع لحجرات الدار الثلاث، حتى زالت معالم الرواق المؤخر، وأزيلت عقوده الأربعة وأسطواناته الخمس.

حفريات سنة ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، أوضحت الصورة الواقعية لما صارت عليه منطقة الرواق المؤخر، وما أدخل من إصلاحات على تلك المساحة، قبل إزالة المبنى نهائياً. إذ كشفت الحفريات عن طرقة توزيع داخلية مربعة الشكل، مساحتها

في حدود ٣,٥ ×٣,٥ بقياس الأمتار، تؤدي إلى مداخل الحجرات الثلاث للدار: حجرة مولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها، وقبة الوحي، والمختبأ. يضاف إلى مساحة الموزع، مساحة توسعة حجرة مولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها، نحو الجنوب بمقدار ٢,٠٧× ٣,٥٢ بالأمتار مستقطعة من مساحة الرواق المؤخر الذي ذكره الفاسي.

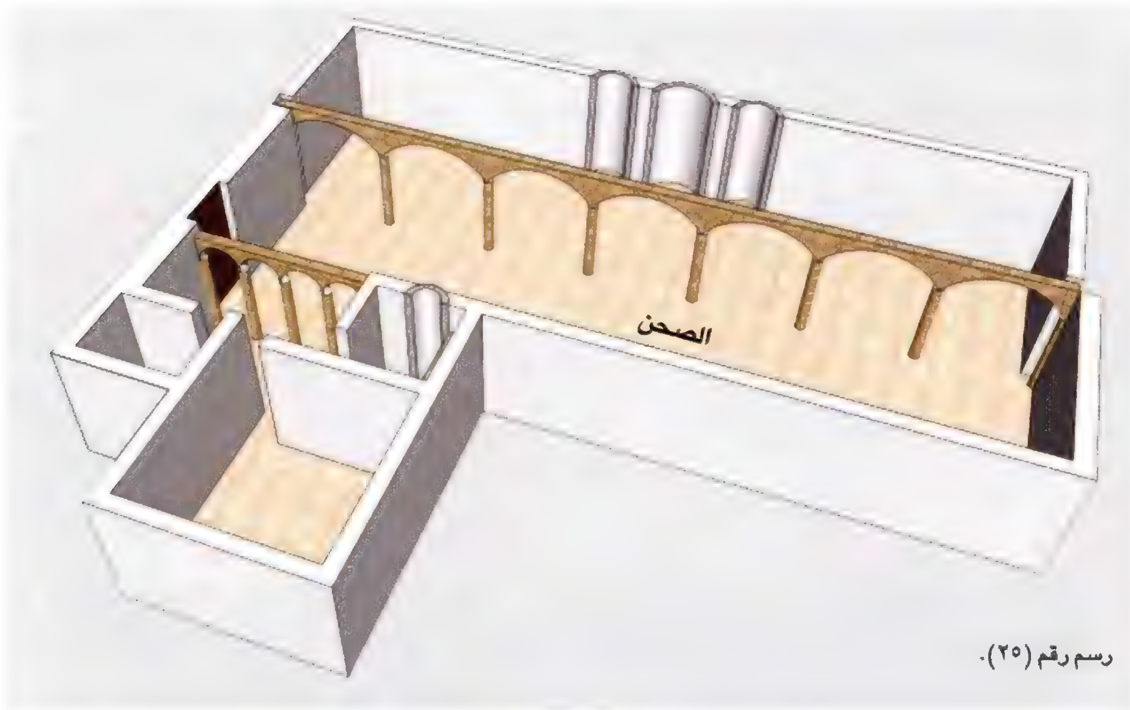
توضح الصورة التالية [رقم ٣٨] شكل الموزع، وامتداد حجرة مولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها، في موقع الحفر.



صورة رقم (٣٨)

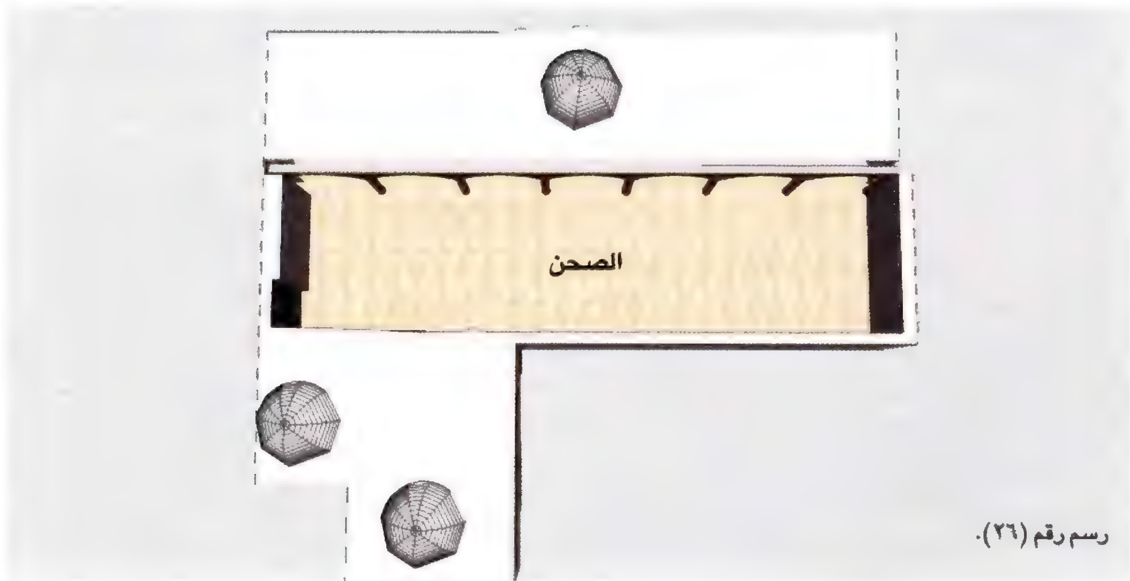
ثامناً- الصحن

الصحن ذكره الفاسي، وقال: «إن ما بين الرواق المقدم والرواق المؤخر صحن للمسجد»، دون أن يحدد مساحته أو ذرعه، كما فعل مع باقي الحجرات والرواقين. كان الصحن مكشوفاً غير مسقوف، على عهد الفاسي، وبقي على ذلك طوال عهود الدار. فقد كان الصحن، في عهد الفاسي، على الشكل التخيلي التالي: [رسم رقم ٢٥]



رسم رقم (٢٥).

وامتداد الصحن طولاً كان على الامتداد الطولي نفسه الذي للرواق المقدم أي ١٢,٤٢متراً، أما امتداد الصحن عرضاً فلا نعرفه تحديداً ولكننا نتوقع أن يكون امتداد الصحن العرضي في حدود امتداد الطرقة الخارجية التي كشفت عنها حفريات سنة ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، والذي يماثل عرض الرواق المقدم تقريباً أو يزيد قليلاً، كما في الرسم التالي: [رسم رقم ٢٦]



رسم رقم (٢٦).

تاسعاً- مربد مولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها:

أُشِيرَ في القسم التاريخي من هذه الدراسة إلى ما ذكره ابن الضياء(ت٨٥٤هـ/١٤٥٠م)، من أنه كان إلى جانب دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، حوش كبير، عمره الناصر العباسي (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٧٩- ١٢٢٥م)، ووقفه على مصالح دار أم المؤمنين خديجة، رضي الله عنها. وأن ذلك كان موجوداً في حجر مكتوب على باب الحوش، جاء فيه: (أن هذا الموضع مربد مولد فاطمة، رضي الله عنها. وأنه وقف على مصالح وخدمات دار أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها).

يقع المربد في الجهة الغربية الشمالية من الدار بجانب قبة الوحي. وقد ذكرت المصادر أن المربد كان وقفاً لمصالح الدار، يستفاد من تأجيره للصرف على الدار؛ لذا فلم يكن معروفاً عند المؤرخين على أنه كان جزءاً أساسياً من الدار. فقد ذكر ابن فهد، كما أوضحنا في القسم التاريخي من هذه الدراسة، أن القاضي الشيبي قد أجر المربد، سنة ٨٣٢هـ/١٣٢٨م، ليستفاد من حصيلة إيجاره لمصالح الدار.

البتنوني، في مخططه للدار، رسم الجزء الغربي من الدار بكامله، (والصحن، والرواق المقدم)، ومساحة هذا الجزء الغربي ١٦×٧ بقياس الأمتار، وجعله مكاناً لتجارة السيدة خديجة، رضي الله عنها، دون أن يسند تاريخياً لذلك.

ظهرت في حفريات سنة ١٤١٠هـ/١٩٨٩م أجزاء من موقع المربد، تمتد من الجزء الغربي الشمالي لقبة الوحي والمختبأ، حتى جدار الصحن الشمالي الشرقي، كما هو موضح في الرسم الملون المسقط على صورة الموقع [رقم ٣٩، ٤٠].



صورة رقم (٣٩).



صورة رقم (٤٠).

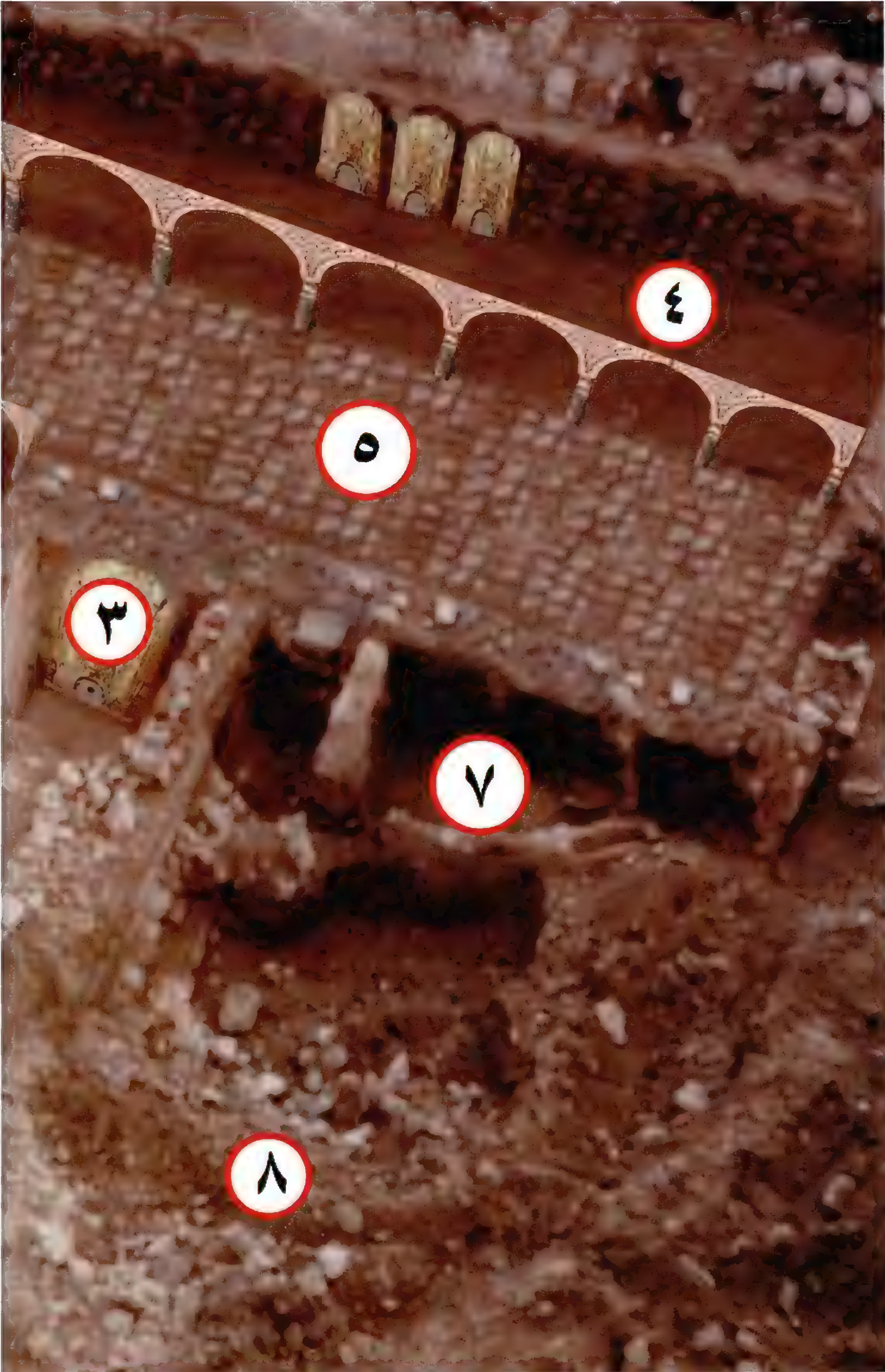
عاشراً – مسك الختام

قبل أن نختتم الدراسة الوصفية للحفريات التي كشفت عن دار أم المؤمنين السيدة خديجة، رضي الله عنها، يجدر بنا أن نشير إلى بعض الآثار التي تم اكتشافها في أثناء عمليات الحفر. فبالإضافة إلى ما سبق ذكره من بعض الآثار التي وجدت في الحجرات الشريفة، تم العثور على قطعة من رحى قيل بأن السيدة فاطمة، رضي الله عنها، كانت تطحن بها الحبوب. وقد جاء ذكر هذه الرحى في عدد من المصادر التاريخية. كما عثر على صخرتين قريباً من محراب الرواق المقدم.

ختاماً لتلك التجربة الفريدة التي استغرقت قرابة الشهر، تقرر أن تطوى صفحة تلك التجربة بتغطية كامل الدار وملحقاتها بنوعية معينة من الرمال الناعمة، الخالية من الملوحة والشوائب، وأن تدك بعناية فائقة، [صورة رقم ٤١] حتى تحفظ ما بطياتها من أثر مهم يمس وجدان كل مسلم محب لرسول الله ﷺ ولأم المؤمنين السيدة خديجة، رضي الله عنها وأرضاها، ولآل بيتهم الكريم، والحمد لله رب العالمين.



صورة رقم (٤١) موقع دار السيدة خديجة، رضي الله، عنها بعد أن دكت برمال ناعمة خالية من الملوحة والشوائب.



صورة رقم (٤٢) معدلة لدار السيدة خديجة، رضي الله عنها، والمسجد الذي أمر بإنشائه معاوية ﷺ بعد إدخال تعديلات باستخدام برنامج الفوتوشوب ليظهر على الشكل الذي كانت عليه الدار في عهد الفاسي.



١- حجرة مولد السيدة فاطمة (رضي الله عنها)
٢- قبة الوحي
٣- المختبأ
٤- الرواق المقدم
٥- الصحن
٦- الرواق المؤخر
٧- دار أبي سفيان
٨- المربد

نتائج الدراسة

تخلص هذه الدراسة التي كان موضوعها (دار السيدة خديجة بنت خويلد، رضي الله عنها، في مكة المكرمة) إلى عرض النتائج التالية:

أولاً- أظهرت الدراسة أنه كان للسيدة خديجة، رضي الله عنها، داران في مكة المكرمة: الأولى، دارها القديمة، قبل زواجها من الرسولﷺ. وكانت ضمن الرباع التي خصصها قصي بن كلاب لبني أسد بن عبد العزى، جنوب غرب الكعبة المعظمة، وكانت تقع في سكة الحزامية، قريباً من دور حكيم بن حزام، ودور آل الزبير. أما الدار الأخرى، موضوع هذه الدراسة، فهي التي اشترتها السيدة خديجة، رضي الله عنها، في رباع بني عبد شمس، في المنطقة الشمالية الشرقية من المسجد الحرام، جنوب غرب رباع بني هاشم.

ثانياً- أظهرت الدراسة أن دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، الواقعة في رباع بني عبد شمس، شمال شرق المسجد الحرام في زقاق الحجر، أو العطارين قديماً، هي الدار التي كانت مسكناً للرسول ﷺ وزوجه السيدة خديجة، رضي الله عنها، وأولاده جميعاً، والتي تلقى فيها الوحي. وقد تواترت الأخبار في المصادر عن اتخاذها مسجداً منذ عهد الخليفة معاوية ﷺ، حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري/العشرين الميلادي، حين طمرت تحت مستوى سطح الأرض.

ثالثاً- طرأت على الدار، خلال الحقب التاريخية المختلفة، عدة متغيرات شملت حجرات الدار، وأروقة المسجد الذي أمر الخليفة معاوية ﷺ، بإنشائه، إضافة إلى ما حول الدار من المباني، وأسماء الأزقة، وانخفاض مستوى الدار عن مستوى الأزقة المحيطة بها.

رابعاً- طرأت بعد القرن التاسع الهجري/السادس عشر الميلادي اختلافات في أسماء بعض حجرات الدار، فأطلق على حجرة قبة الوحي، اسم حجرة السيدة خديجة، رضي الله عنها. كما أطلق على المختبأ، اسم قبة الوحي، أو مصلى الرسول ﷺ، مع بقاء حجرة مولد السيدة فاطمة، رضي الله عنها، على الاسم نفسه، بالرغم من التوسع فيها من جهة الجنوب، والشمال الشرقي.

خامساً- ظهر من الدراسة أن دار السيدة خديجة، رضي الله عنها، كانت موقوفة منذ عهد الخليفة معاوية ﷺ، وظلت على ذلك حتى عهد الملك عبد العزيز آل سعود - رحمه الله - حين عهد إلى الشيخ عباس يوسف قطان إقامة مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم فوق موقع الدار.

سادساً- أظهرت الدراسة اهتمام الخلفاء، والسلاطين، والملوك، والأمراء، والولاة، بدار السيدة خديجة، رضي الله عنها، وذلك من خلال تعهدهم لها بالعمارة، والتجديد، والترميم، والصيانة في العصور المختلفة؛ وتكليف من يقوم، نيابة عنهم، بذلك من شيوخ الحرم، وسدنة البيت، وأعيان مكة المكرمة.

سابعا- ظهر من الدراسة أن بعض المواضع الملحقة بالدار، كمربد السيدة فاطمة، رضي الله عنها، كانت أوقافاً لمصالح الدار، وقفها الخليفة الناصر العباسي للصرف من ريعها لإصلاحات الدار.

ثامناً- لم ينكر العلماء الأوائل زيارة الأماكن الأثرية في مكة المكرمة، والتي ارتبطت بالرسولﷺ، من أبرزها دار السيدة خديجة، رضي الله عنها. من ذلك قول القاضي عياض: «جدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل، وتردد بها جبريل وميكائيل، وخرجت منها الملائكة والروح، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر، وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر، وأول أرض مس جلد المصطفى ترابها، أن تعظم عرصاتها، وتتنسم نفحاتها، وتقبل ربوعها وجدرانها».

تاسعاً- تضمن الفصل الخاص بوصف الرحالة للدار بعض المغالطات التاريخية، كالحديث عن مولد الحسن والحسين بالدار، ووجود متعلقات لهما في الدار، وكذلك لأمهما السيدة فاطمة، رضي الله عنها، إضافة إلى وصف بعض الممارسات والطقوس غير الشرعية من بعض عوام الزائرين للدار. وقد أوردت

الدراسة تلك النصوص عملاً بالمنهجية العلمية وأمانة الاقتباس، بالرغم من التحفظ على تلك المبالغات والطقوس.

عاشراً- كشفت عمليات الحفر سنة ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، عن وجود تشابه في الموقع مع الوصف الذي سجله البتنوني في (رحلته)، وهو من أواخر الرحالة وصفاً للدار قبل اندثار معالمها. وقد حرصت هذه الدراسة على توضيح عدم صحة ما ذكره البتنوني من أسماء المواضع التي لم ترد عند أحد ممن سبقوه في وصف الدار، كحجرة استقبال الوفود، والتي هي في الأصل الرواق الأمامي، وكمكان تجارة السيدة خديجة، رضي الله عنها، الذي كان في الأصل مربد السيدة فاطمة، رضي الله عنها.

حادي عشر- انفردت الدراسة بعرض عدد من الوثائق والصور الفوتوغرافية، وخرائط المساقط الأفقية، الخاصة بدار السيدة خديجة، رضي الله عنها، تنشر لأول مرة.

ثاني عشر- انفردت الدراسة بتحليل وصف المؤرخ الفاسي للدار، وهيئتها في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، وقامت بإسقاط بياناته على أشكال ثلاثية الأبعاد للصفة المعمارية، وتقسيمات الدار الداخلية بعناصرها المختلفة، وبالدقة التامة في قياس الأبعاد، وتحويل القياس بذراع الحديد، الذي كان معمولاً به في زمن الفاسي، إلى القياس المتري.
وقد تطلب ذلك الأمر دراسة تصورات واحتمالات عدة، ناقشها فريق العمل،

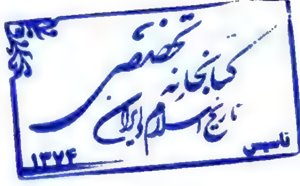
حتى تم التوصل إلى أقرب تصور للصفة التي كانت عليها الدار في زمن الفاسي، معتمدين في ذلك على المعطيات الذرعية لأبعاد مكونات الدار، وعلى الحقائق التاريخية التي قدمها الفاسي.

ونختم بحمد الله على توفيقه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أحمد زكي يمانـــي



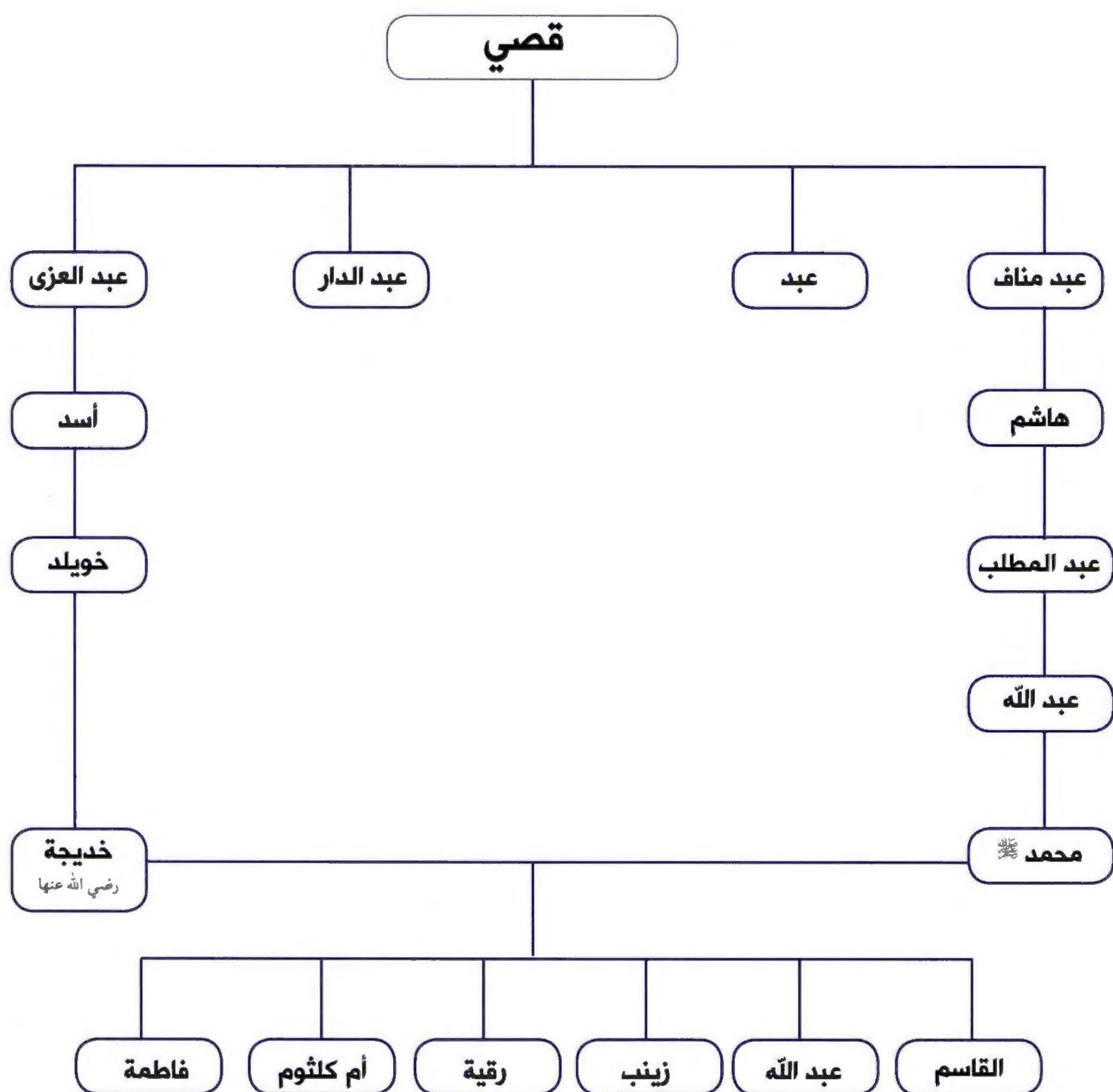
الكشاف العام



جدول الصور

جدول الرسوم

جدول الخرائط


قصي
عبد مناف
عبد
عبد الدار
عبد العزى
هاشم
أسد
عبد المطلب
خويلد
عبد الله
محمد ﷺ
خديجة
رضي الله عنها
القاسم
عبد الله
زينب
رقية
أم كلثوم
فاطمة

The House of

AL-SAYYEDAH KHADEEJAH BINT KHOWAYLID

in Makkah al-Mukarramah

A Historical Study of Its Location, Building and Architecture

By
Ahmed Zaki Yamani



AL-FURQĀN
ISLAMIC HERITAGE FOUNDATION
Encyclopaedia of Makkah and Madinah Branch

2013/1434